كلية العلوم الإسلامية
قسم الفقه واصوله
ملزمة مادة النظم الاسلامية
المرحلة الثالثة

أستاذ المادة

أ.د. قيصر عبد الكريم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى آلة وصحبه وسلم.

اما بعد:

الاسلام نظام شامل كامل لكل انسان في كل زمان ومكان، والاسلام نظام ودولة في آن واحد، وقد ثبت الوقائع التاريخية ان الاسلام لم يكن مجرد عقائد فردية وعبادات، وانما نظام شامل لكل جوانب الحياة، حيث عالج جميع مشكلات الاجتماعية والمعاملات والقضاء، وبهذا يدرك ان الاسلام انفرد عن غيره من الاديان السماوية الاخرى التي قامت على التراحم والمحبة والتكافل من غير ان ترسم لذلك كله تشريعات واضحة وحدود صريحة، حيث تركت للنظم الوضعية تقرر ما يلزمها من نظم.

اما الاسلام فانه نسق تنسيقاً واقعياً عادلاً بين شؤون المادة والروح بنظم واضحة وصريحة، تتعادل فيها الحقوق والواجبات، وتكفل بواسطتها ضمانات الحياة المادية وضمانات العدالة الاجتماعية.

لذلك تناولنا في هذه الدراسة بيان بعض الانظمة الرئيسية في الاسلام بالقدر الذي يعطي فكرة اساسية وضرورية لطلاب الدراسات الشرعية وغيرها بشأن تنظيم الاسلام للحياة.

مبحث تمهيدي

تعريف النظم الاسلامية لغة واصطلاحا

النظم لغة: جمع نظام والنظام في اللغة له عدة معاني منها الجمع والتأليف والطريق والعادة فمثلاً تقول ليس لهم نظام أي ليس لهم طريق يسيرون عليه.

النظم اصطلاحا: هو مجموعة الأحكام والقواعد المتناسقة والمتكاملة المتفاعلة فيما بينها أو هو ضابط لأعمال الأفراد في اي مجال.

النظم الإسلامية: هو الأحكام والقواعد التي وضعها الله لتنظيم وضبط أعمال وعلاقاتهم المتنوعة وهذه الأحكام والقواعد تنبثق عن العقيدة الاسلامية والتي بدونها لا يكون لهذه الأحكام الامتثال والقبول.

وقد يطلق ويراد به معنى عاماً: فيكون أحد مفاهيم العقل الأساسية ويشمل الترتيب الزماني والمكاني والعددي والسلاسل والعلل والقوانين والغايات والأجناس والأنواع والأحوال والاجتماعية والقيم الأخلاقية والجمالية. وقد يطلق النظام ويراد به معنى خاصاً: فيقال مثلاً نظام العمال ونظام المحامين.

الفصل الاول

خصائص النظم الاسلامية

لابد قبل الدخول في دراسة النظم الاسلامية ان نتعرف اولا على خصائصها التي تميزها عن غيرها من النظم الموجودة في عالمنا الذي نعيش فيه، ومن اهم تلك الخصائص هي:

١. **شمول انظمة الاسلام لكافة جوانب الحياة:** لقد تناولت النظم الاسلامية في تنظيمها كل العلاقات التي يمكن تصورها، فنظم علاقة الفرد بربه، ونظم علاقة الفرد بالفرد، وعلاقة الفرد بالمجتمع والدولة، وعلاقة الدولة الاسلامية بغيرها من الدول.

حيث اقتضت حكمة الله تعالى ان لا يترك عباده دون نظام كامل لحياتهم يكون فيه من المبادئ والتفاصيل والجزئيات ما ينظم كل جوانب الحياة، قال تعالى: (**أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ**)، وقال ايضاً: (**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى**).

وقد جاء هذا التنظيم لكل جوانب الحياة بتشريع من علمه وحكمته، علمه بفطرة الانسان الذي خلقه، وعلمه بما يصلح له ويصلحه في حياته وما يسعده في حياته وبعد مماته، قال تعالى: (**هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ**)، فشرع لعباده نظاما كاملا للعقيدة، اودعه كل ما يتصل بالإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الاخر.

وشرع لهم نظاما كاملا للعبادات والمعاملات والاحوال الشخصية والقضاء، فكل قضية تخص الفرد او الجامعة او الدولة او المجتمع الدولي الا والتشريع الإسلامي حكم فيها نصاً او اجماعاً.

٢. **التكامل بين انظمة الاسلام:** نقصد بالتكامل ان الشيء لا يقوم بصورته المثلى بنفسه، انما يقوم بنفسه وبما يكمله ايضا، فيكون هناك تساند واعتماد من البعض على الاخر، هكذا انظمة الاسلام يكمل بعضها بعضا، واساسه ان انظمة الاسلام المتنوعة مشرعة من قبل مشرع واحد عليم حكيم وهو الله تعالى، ومنطلقة من فلسفة الاسلام الكلية الشاملة للكون والحياة، ومتعلقة بمصالح الانسان في الدارين، بخلاف التشريعات البشرية التي تكون ذات نظرة محدودة ومقتصرة على تعامل الانسان مع الحياة الدنيا.

ففي نظام العبادات مثلا: يمثل ضرورة وضمانة لتطبيق نظام الاقتصاد ونظام الحكم وكل انظمة الاسلام، فالعابد لربه المتربي على نظام العبادات في الاسلام يندفع نحو دفع الزكاة لان العبادة اثرت فيه، ويحكم بالعدل والقسط لا العبادة أصلت في نفسه معاني العدال، ويبتعد عن الفحشاء والمنكر لان الصلاة أثره فيه، قال تعالى: (**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**).

٣. **الصفة الدينية لأنظمة الاسلام:** ان انظمة الاسلام قائمة على اساس هداية الله تعالى وعلى الاقرار بحاجة الانسان وحاجة العقل البشري الى هذه الهداية، فهي مؤسسة على الوحي الالهي ومصدره الكتاب والسنة منها تستمد احكامها، وهذه

الصفة ذات نتائج عظمى غير متيسرة للأنظمة البشرية بوجه عام، فبناء انظمة الاسلام على الكتاب والسنة وهذا يشكل:

أ- ضمانا لكمالها وخلوها من النقائص والاخطاء.

ب- يضمن لها قوة الالزام.

ت- حسن الالتزام من وجه اخر.

أ- ضمانا لكمالها وخلوها من النقائص والإخطاء: فقد قال تعالى في وصف تشريعه: **(صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً)**، وقال أيضا في نفي الخطأ والنسيان عن تشريعه **(لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى)**، وقال في نفي الظلم وتحقيق العدل في تشريعاته: **(وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ)**، وقال: **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)**.

فلا يتصور في أنظمة الإسلام ان يدخلها او يتلبس بها شيء من النقائص، بعكس الأنظمة البشرية بوجه عام نظرا لقصور العقل الإنساني عن بلوغ الكمال.

ب- يضمن لها قوة الالزام: ان ابتناء أنظمة الإسلام على الوحي الإلهي يجعلها اقوى الزاما للمجتمع الذي يؤمن بها ويقوم على أساسها نظرا لصدورها من الله تعالى خالق البشر ومالكهم ومجازيهم على أعمالهم.

ت- حسن الالتزام من وجه اخر: ان الصفة الدينية الانظمة الاسلام فان الافراد يعظمونها لا لأنها مجرد انظمة تنظم حياتهم وانما لأنها جزء من عقيدتهم ودينهم، قال تعالى: **(ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ)**، ولذلك فالمسلم يلتزم التزاما عميقا وحقيقيا بأنظمة الإسلام ولا يحاول الخروج عنها مع سنوح الفرصة لهذا الخروج، بخلاف الأنظمة البشرية التي ينقصها هذا القدر من الهيبة والقدسية والاحترام.

ونظرا لما تقدم فان أنظمة الإسلام وبسبب الصفة الدينية تطاع طاعة اختيارية منبثقة من داخل النفس لان هذه الطاعة والتسليم لشرع الله هو شرط الايمان، قال تعال: **(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)**، ولهذا فالمؤمنون يطيعون أنظمة الإسلام ويحسنون الالتزام بها ليحصل شرط الايمان وابتغاء رضوان الله تعالى، وطمعا في حسن الجزاء في الاخرة. لقد قدم لنا التاريخ امثلة فريدة في ذلك فقد ولي سيدنا عمر (رضي الله عنه) القضاء في عهد سيدنا أبي بكر (رضي الله عنه) فظل سنتين لا يأتيه متخاصمان.

اما الأنظمة البشرية فلا نجد غير القوة وسيلة لمحاولة الحد من تفلت الكثير من طاعة قوانينها وتعجز عن تحقيق مرادها، ولذلك عجزت الولايات المتحدة عن تحريم الخمر في الثلاثينيات من القرن الماضي على الرغم من كل ما هيأته من راي عام، وما شرعته من عقوبات، وذلك لافتقار قانونها الى الهيبة القدسية من جهة، وعدم طاعة الناس له طاعة اختيارية من جهة أخرى.

اما الإسلام استطاع ان بآية واحدة فطم الناس أنفسهم من شرب الخمر، وذلك حين نزل قوله تعالى: (**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**).

فالصفة الدينية لأنظمة الإسلام تجعل احكامها مبنية على مبدأ الحلال والحرام وهو مبدأ اقوى من مبدأ الجائز والممنوع في الأنظمة البشرية.

٤. **الاصالة والاستقلال لأنظمة الاسلام:** تتميز انظمة الاسلام بانها اصيلة ومستقلة اي قائمة بذاتها في نشأتها وفي تطورها، وأنها ليست مستقاة من مصادر غير الاسلام نفسه، كما نها غير مستورة او مقتبسة من انظمة بشرية قديمة او حديثة، نظراً لاكتفائها بذاتها، وتطورها وفقاً لقواعدها الخاصة بها.

فمصادرها الاصلية وحي إلهي لا دخل للبشر فيه وهما الكتاب والسنة، قال تعالى: (**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ**)، وقال ايضاً: (**تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**)، وقال عن السنة النبوية: (**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**)، وقال ايضاً: (**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**). فمن هذين المصدرين العظيمين (الكتاب والسنة) نشأت أنظمة الإسلام، ثم تنامت وتوسعت فروعها بطريق الاجتهاد الفقهي حتى تناولت كل قضايا الحياة في اطار قواعد الشريعة واصول الاجتهاد التي وضعتها الشريعة نفسها لاستنباط الاحكام للوقائع المتجددة في الحياة كالإجماع والقياس والمصلحة وغيرها والتي سميت بالمصادر التبعية، وهذه ايضاً لا مدخل فيها للأهواء بل هي مناهج معلومة وقواعد مرسومة توصل الى معرفة حكم الله في المسائل بطريقة الاجتهاد ضمن علم مخصوص اسمه علم أصول الفقه، يجعل الاحكام المستنبطة موافقة للكتاب والسنة ومبنية عليهما.

وهكذا يظهر ان أنظمة الإسلام أصولها وفروعها اصلية في نشأتها مستقلة بطريقة خاصة بها في النمو والتطور، وقد حصنها الشارع الحكيم لحفظ هذه الاصالة والاستقلال بقوله تعالى: (**اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**)، وقال ايضاً: (**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا**)، وقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (**من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد**) أي مردود علسه.

فأنظمة الإسلام اصيلة ومستقلة لم تتأثر بقوانين رومانية او شيء من اليهودية او مسيحية كما يفتري بعض المستشرقين.

٥. **مرونة انظمة الاسلام:** نقصد بالمرونة قابلية التشريع للتطور ومواكبة المصالح المتجددة والنماء المستمر بما يتلاءم وحاجات المجتمع وتحقيق المصالح المشروعة لكل زمان ومكان، وهذه خصيصة من خصائص الفروع الفقهية لأنظمة الاسلام.

تقوم انظمة الاسلام على اصول وفروع، فأصولها ثابتة مثلها مثل السياج الذي يحمي من التردي والسقوط، وفروعها متطورة متغيرة بحسب المصالح والحاجات ولكن في إطار تلك الاصول الثابتة.

فبناء انظمة الاسلام بجواز الاجتهاد في تفهم المراد من النصوص من جهة، والاجتهاد لاستنباط الاحكام الشرعية للوقائع المتجددة عبر العصور استجابة لمصالح الناس المتجددة، وهذه المرونة العظيمة جعلت تلك الانظمة التي تعالج مختلف ميادين الحياة، حيث تمد الحياة بمختلف الحلول للوقائع المتجددة بما يحقق المصالح المشروعة في الحياة وبما يتلاءم مع تطورها، فالتشريع الاسلامي وان كانت اصوله ومبادئه ثابتة لا يلحقها التغيير والتبديل الا ان الفروع الفقهية التي تدخل في بناء انظمة الاسلام.

وهذه المرونة التي لا تعرف الجمود منشاؤها في الاسلام من اربعة وجوه:

اولا: مرونة مصادر الاسلام التبعية كالأجماع والقياس والمصلحة المرسلة وغيرها، وقد سميت بالمصادر التبعية لأنها تابعة للمصادر الاصلية (الكتاب والسنة)، فالمصادر التبعية تقدم حلول اجتهادية لكل الوقائع والقضايا المتجددة قي العصر في إطار الكتاب والسنة.

ثانيا: ينص الكاب والسنة في القضايا التي تخضع للتطور بطبيعتها على المبادئ العامة وترك الجزئيات والتفريعات للاجتهاد الفقهي لكل زمان ومكانكما هو الحال في النص على مبدأ الشورى ومبدأ العدالة والاصلاح والمصلحة.

ثالثا: جواز تغير الاحكام الاجتهادية بتغير الزمان، حيث تتغير الاحكام المبنية على المصالح والاعراف تبعا لتغير ما بنيت عليه من مصلحة او عرف، وجمهور العلماء يقولون بتغير الاحكام بتغير الزمان شاملا لكل الاحكام ما لم يرد فيه نص من كتاب او سنة.

رابعا: جواز تعدد الرأي في المسألة الواحدة، اذا وجد في هذه الآراء الاجتهادية السائغة المبنية على قواعد اجتهادية صحيحة، يعطي الحرية في اختيار اس من هذه الآراء للعمل به.

٦. **انظمة الاسلام مثالية واقعية:** تجمع انظمة الاسلام بين امرين فهي مثالية ولكنها واقعية في نفس الوقت تراعي الواقع الانساني.

حيث تسعى انظمة الاسلام الى ابلاغ الفرد والجماعة الصورة المثلى في جميع جوانب الحياة، وذلك بوضع التشريعات والاحكام المفضية الى ذلك، بإيجاد الضمانات المحققة لها، اي تحقق الصورة المثلى لحياة الفرد والجماعة مهما كانت الحياة على درجة كبيرة من الملابسات والتقيدات.

والسبب الاساس في قدرة انظمة الاسلام على تحقيق الصورة المثلى هو مصدرها الالهي، والهدف وراء المثالية هو ايصال الفرد والمجتمع الى اعلى درجة ممكنة من الكمال والسمو.

وتتمثل هذه المثالية بما شرع في انظمة الاسلام من تشريعات وما تضمن من ضمانات ووسائل تفضي الى ان يصوغ الفرد نفسه وكذلك المجتمع طبقاً لتعاليم الاسلام في كل جوانب الحياة.

واعلى صورة لهذه المثالية على صعيد التطبيق بالنسبة للفرد تمثلت في شخص رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي وصفه الله تعالى: (**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**).

ان أنظمة الإسلام التي تدعو الى المثالية وبلوغ اعلى درجة منها، لا تغفل عن طبيعة الانسان وواقعه، لذلك وضعت حدا اعلى تظهر فيه المثالية مع ذلك قبلت من الانسان ما يتيسر منه من صعود في هذا السلم لاتجاه المثالية.

ومزيدا من الواقعية في الإسلام انه افترض ان الانسان قد يهبط حتى الحد الأدنى المقبول شرعا فيقع منه ترك بعض الواجبات او فعل بعض المحرمات، لذلك راعى واقعه كبشر يحتاج الى التقويم المستمر ففتح له باب التوبة ليتمكن من الارتقاء من جديد.

وثمرة هذه الخصيصة عظيمة الأهمية كبيرة الأثر، اذ تجعل الفرد والجماعة في حالة حركة ارتقاء دائمة صعودا للصورة المثلى للحياة.

٧. **توافق انظمة الاسلام مع الفطرة:** الإسلام دين فطرة، وانظمته جميعا بدون استثناء متوافقة مع الفطرة الانسانية، وهي الفطرة التي فطر الله تعالى النفس الانسانية عليها، وهي جملة رغبات وميول وغرائز وحاجات روحية وعقلية وجسدية لا قيام لحياة الانسان بدون ارضائها والتوافق معها، فالله سبحانه وتعالى هو الذي خلق هذه النفس ويعلم ما جبلت عليه من رغبات وغرائز، لذلك جاءت النظم الاسلامية موافقة لهذه الفطرة، قال تعالى: (**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**)، وقال ايضاً (**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**)، وذلك هو السر في توافق أنظمة الإسلام مع الفطرة الإنسانية بخلاف الأنظمة البشرية حيث تجيء تلك الأنظمة مختلة الموازين، فاسدة النتائج، فمنها أنظمة مفرطة في الحرية الى حد الظلم الطبقي والاباحية كما هو حال النظم الغربي، والبعض الاخر مفرطة في مصادمة الفطرة وكبتها وخنقها كما هو حال النظم الماركسية، بينما جاءت أنظمة الإسلام متوافقة مع الفطر الانسان، فهي ترضي الروح بالعقيد والعبادة، وترضي العقل بالحكمة المعرفة، ويرضي الجسد بالتمتع بالطيبات بموازنة دقيقة بين مصالح الفرد والجماعة.

٨. **ارتباط انظمة الاسلام بتحقيق المصالح الانسانية:** الهدف الاساس من انظمة الانسان تحقيق مصالح الانسان الدنيوية والاخروية، لذلك جاءت انظمة الاسلام المتنوعة منظمة بشكل يحقق المصالح الانسانية للفرد والمجتمع.

فالمصلحة في نظر الشرع (جلب المنفعة للفرد والجماعة ودفع المضر عن الفرد والجماعة في حدود المحافظة على مقاصد الشريعة)، وفي هذا يقول العلماء: (ان الشريعة كلها مصالح، اما درء مفاسد، او جلب مصالح).

ومن النصوص الدالة على ارتباط الشرعة بالمصلحة قوله تعالى: (**إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ**)، ويظهر هذا الترابط في عدة وجوه:

الوجه الأول: تعليل نصول القران والسنة بانها جلب مصلحة ودرء مفسدة، ففي النص الخاص (بالخمر والميسر) علل ان القصد منه هو دفع (العداوة والبغضاء والصد عن سبيل الله وعن الصلاة)، فقد قال تعالى: (**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ**

بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ). وفي السنة النبوية: ففي النص الخاص (بالزواج والندب اليه) بين ان الغرض منه تحقيق مصلحة وهي (غض البصر وحصن الفرج)، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): **((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر، وأحصن للفرج))**.

الوجه الثاني: جاءت نصول القران تؤكد المصلحة وتدعو اليها، فقد علل الهدف من رسالة النبي (صلى الله عليه وسلم) هو (رحمة للناس) بما فيها من جلبٍ المصالح للعياد ودرء المفاسد عنهم، قال تعالى: (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**).

الوجه الثالث: إيقاف العمل بالحكم الأصلي والترخيص بغيره تحقيقاً للمصلحة، حيث رخص الإسلام الإفطار نهار رمضان للمسافر والحامل والمريض دفعاً للمشقة عنهم، فقد قال تعالى: (**وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**).

الوجه الرابع: حتمية تحقيق المصلحة من خلال النظر في مقاصد الشريعة، فمقاصد الشريعة الإسلامية هي حفظ الضروريات (حفظ الدين، والنفس، والعقل، والعرض والمال)، وكذلك حفظ الحاجيات وحفظ التحسينات، فجميع حاجات الفرد والجماعة لا تخرج عن هذه الضروريات فهي اما مصالح تتعلق بأمور ضرورية، او بأمور حاجية، او بأمور تحسينية.

٩. **ابتناء انظمة الاسلام على ثنائية الجزاء:** المقصود من ثنائية الجزاء اي وجود جزاء دنيوي وجزاء أخروي على مخالفة القوانين الشريعة التي تدخل في بناء انظمة الاسلام للحياة، وهي ميزة تنفرد بها تشريعات الاسلام وانظمته دون غيرها من بسبب مصدرها الالهي الذي يمكنها من ان تتوعد الناس بجزاء اخروي على مخالفتهم لأنظمة الاسلام، وهذا غير متيسر للأنظمة البشرية فلا يمكن لواضعيها ان يتوعد الناس بجزاء اخروي، لذلك فهي تقتصر على الجزاء الدنيوي توقعه السلطة على مخالفة القوانين، اما في انظمة الاسلام فان الجزائين يسريان على كل مخالف لقواني الشريعة انظمتها.

ففي الجانب الجنائي مثلا: نجد جزائين اثنين على كل معصية سواء كانت جرائم حدود او قصاص او تعزير. وفي كل انظمة الاسلام يوجد جزاءية، قال تعالى: (**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا**). ولا يخفى أثر هذه الخصيصة في اصلاح المجتمع وزجر الانسان عن الفساد وارتكاب الجرائم الجنائية.

١٠. **صفة العمومية في انظمة الاسلام:** ان انظمة الاسلام من حيث اصولها وقواعدها الاساسية عامة من حيث الزمان وعامة من حيث المكان:

فمن حيث العموم الزماني: جاءت نصوص الاسلام وقواعده الاساسية للزمان كله من حين اكتمل التشريع خلال فترة الرسالة الى يوم القيامة، واساسه ان رسالة الاسلام مشرعة من الله تعالى عالم الغيب المضي والحاضر والمستقبل،

فهو عالم لما يصلح احوال البشرية على مر العصور، قال تعالى: (**عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**).

اما العموم المكاني: فان الإسلام أرسل الى البشر جميعا في كل مكان فهو دعوة عالمية لأنه يمثل هداية الوحي الإلهي لأهل الأرض جميعاً، واساسه ان رسالة الإسلام بأنظمتها المتنوعة للحياة هي دعوة عالمية للبشر جميعاً في كل مكان على الأرض بان يستجيبوا لهداية الله تعالى التي جاء بها سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، قال تعالى: (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**).

وعلى ذلك فان تشريعات الإسلام لا تقبل الابطال او النسخ او التبديل، لأنها خاتمة رسالات الله تعالى ونقطع النسخ والبديل والابطال بوفاة النبي (صلى الله عليه وسلم).

الفصل الثاني

نظام العبادة في الاسلام

سندرس موضوع نظام العبادة في الاسلام في أربع مباحث، الاول: لبيان معنى العبادة ومكانتها في الاسلام، والثاني: لبيان خصائص نظام العبادات في الاسلام، والثالث: انواع العبادات، والرابع: الحكمة من تشريع العبادات وأثرها في حياة الفرد والمجتمع.

المبحث الاول

مفهوم العبادة ومكانتها في الاسلام

اولاً: معنى العبادة في الاسلام:

معنى العبادة في اللغة: الطاعة والخضوع والتذلل، فكل طاعة لله تعالى على وجهة الخضوع والتذلل فهي عبادة.

ومعنى العبادة في الشرع: معنى الذل ومعنى الحب فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى ممزوجاً بغاية المحبة له، فيجب لتحصيل العبادة بمعناها الدقيق ان يكون الله احب الى العبد من كل شيء، وان يكون الله اعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والخضوع التام الا الله تعالى، قال تعالى: **(قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)**.

وإذا كانت العبادة تعني غاية الذل لله تعالى وغاية الحب له فان هذين الامرين لهما نتيجة واحدة هي الطاعة التامة والانقياد الكامل وعدم المقاومة والعصيان.

واساس محبة الله تعالى هو استشعار فضله ونعمته واحسانه ورحمته التي وهبها الله تعالى لنا، فالله تعالى خلق الانسان ووهب له العقل الذي فضل به على جميع خلق الله تعالى، وسخر له ما في السماوات والأرض ورزقه من الطيبات، وجعله خليفة الله تعالى في ارضه، قال تعالى: **(وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)**، وقال ايضاً: **(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ)**، فكل ذلك يستلزم من الانسان السوي الحب والحمد والشكر والثناء والعرفان لله تعالى.

ثانياً: مكانة العبادة في الإسلام:

ان للعبادة مكانة أهمية كبيرة في الإسلام، ويتبين ذلك فيما يلي:

١. العبادة هي الغاية من خلق الانسان فلا يعلوها عمل، قال تعالى: (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**)، وبقدر ما يؤدي الانسان لله تعالى هذا الحق (العبادة) تكون درجته ومنزلته عند الله تعالى، فهي مادة الامتحان في حياة الانسان، قال تعالى: (**وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا**)، وعن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قال: (كنت رديف النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال لي: (**يا معاذ، أتدري ما حق ما الله على العباد؟**) قلت الله ورسوله اعلم، قال: (**حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**...).

٢. العبادة هي النداء الأول في كل رسالة لكل رسول لامته، قال تعالى: (**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**)، وقال ايضاً: (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**).

٣. العبادة هي العهد الأول بين الانسان وربه، قال تعالى: (**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**).

٤. العبادة هي اول امر يأمر به الله تعالى نبياً يكلمه تكليما، قال تعالى: (**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**).

٥. العبادة حق الربوبية يؤديه الانسان للرب الخالق لكل شيء والمالك كل شيء، قال تعالى: (**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ**).

٦. العبادة هي حق الالوهية بما يتضمن من حق الامر والنهي والتشريع، قال تعالى: (**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**).

وفوق كل ما ذكرناه فالعبادة تمثل الوفاء لله تعالى على نعمه التي لا تعد التي أنعمها على الانسان.

المبحث الثاني

خصائص نظام العبادة في الإسلام

لنظام العبادة في الإسلام خصائص تميزه، ومن اهم تلك الخصائص هي:

١. **تنوع العبادة وامتزاجها بجميع جوانب الحياة:** نظام العبادة في الإسلام يسع الحياة كلها في كل ميادينها، فهو يشمل:
   أ- ما بين الانسان وربه من حقوق.
   ب- وما بين الانسان والناس من حقوق وعلاقات.

فكل ذلك داخل في نطاق العبادة، وقد جمع العلماء كل معاني الداخلة في العبادة في هذه العبارة: (العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج، وصدق الحديث وأداء الأمانة، وبر الوالدين وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله)، فالعبادة اسم جامع لكل ما يقوم به من عمل بشرط ان يكون خالصا لله تعالى.

٢. **ارتكاز العبادة على الايمان بالله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وسلم): ان** الذي يتقبل العبادة ويثيب عليها هو الله تعالى، فليس من معقولاً ولا مقبولاً من انسان لا يؤمن بالله ثم يريد ان يثاب على اعماله، وذلك هو لتلازم بين الايمان وبين اعتبار الأفعال عبادة، فليس مؤمناً من لا يعبد الله، وليس عابداً من لا يؤمن بالله.
ويشهد لصحة ذلك ما جاء في القرآن الكريم حيث يقرن بين الايمان والعمل الصالح، ولا يذكر العمل منعزلا عن الايمان، فقد قال تعالى: (**وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ**)، وقال ايضاً: (**إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**)، وغيرها من الآيات.
ومن السنة: فقد سأل رجل النبي (صلى الله عليه وسلم) قائلاً: قل لي في الإسلام قولاً لا اسال احداً بعدك؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (**قل امنت بالله ثم استقم**)، وهو نظير قوله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**).

٣. **ضرورة النية في العبادة:** لا بد لكي يعتبر العمل عبادة من التوجه به قلبياً الى الله تعالى بقصد مرضاته، وان النية هي الحد الفاصل بين ما يثيب الله تعالى عليه وما لا يثيب، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**).

بل ان مجرد النية تعد عبادة في ذاتها ومصدر للأجر والثواب من غير عمل، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): **(ان بالمدينة اقواماً ما قطعنا وادياً ولا وطئنا موطئاً يغيظ الكفار، ولا انفقنا نفقة، ولا اصبتنا مخمصة الا شركونا في ذلك وهم في المدينة، فقيل له كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: حبسهم العذر فشركونا بحسن النية).**

٤. **اقتران العبادة بالجزاء:** ان الله تعالى جعل العبادة هي الغاية من الخلق، وهي اول نداء للرسل، فمن الطبيعي ان يجزي الله تعالى عباده على ما يقومون به من اعمال، فيوفيهم اجرهم ويزيدهم من فضله، قال تعالى: (**أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**). ومن فضل الله ورحمته ان جعل العبادة مقترنة بالأجر والثواب، قال تعالى: (**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**).

ولكن الجزاء الاخروي ليس هو الجزاء الوحيد فهناك ادلة كثيرة تؤكد لنا ان هناك جزاء عاجلاً في حياتنا الدنيا، سنذكر بعضها فيما يلي:

أ- **الجزاء العاجل على العبادة:** الحق ان العبادة وفعل الخيرات يزكي النفس وينير القلب، كما ان المعصية والشر تدنس النفس وتفسد القلب، ومن هذا يتبين لنا ان العبادة والطاعة نتيجة في الدنيا قد تكون: عقلياً، او نفسياً، او مادياً، وهذا ما يؤكده القرآن الكريم، فقد قال تعالى: (**لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**)، **وقال ايضاً: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)، ومن صور الجزاء الدنيوي:**

- قد يكون الجزاء العاجل هو التمييز بين الخير والشر، قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**).
- قد يكون الجزاء العاجل هو اصلاح النقائص في اعمال المؤمنين، قال تعالى: (**يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ**).
- وقد يكون تثبيت القول، قال تعالى: (**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**).
- قد يكون في صورة مزيد من هداية القلب، قال تعالى: (**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**).
- وقد يكون في صورة تأييد من الله، قال تعالى: (**وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا**).
- وقد يكون في صورة طمأنينة النفس، قال تعالى: (**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ**).

وينبغي الإشارة هنا الى انه قد يبطيء الجزاء العاجل لمزيد من تمحيص المؤمنين، قال تعالى: (**مْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**).

ب- الجزاء الاخروي: اذا كانت العبادة كل عمال صالح يقوم به الانسان على الوجه المشروع ابتغاء مرضاة الله تعالى فلا بد من وجود جزاء على هذه الاعمال التي قام بها العبد في الدنيا بالإضافة الى الجزاء الدنيوي جزاءً اخروية، ومن هذه صور للجزاء الاخروي:

- لحظة الوفاة يتلقون التحية من الملائكة، قال تعالى: (**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**).
- في قبورهم ينعمون برؤية مقاعدهم في الجنة، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (**إذا مات احدكم فانه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، فان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وان كان من أهل النار فمن أهل النار**).
- آمنون لا يخافون، قال تعالى: (**فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**).
- بعيدون من الخزي والفضيحة، قال تعالى: (**يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ**).
- تبيض وجوههم، قال تعالى: (**وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**).
- قربهم من الله تعالى، قال تعالى: (**أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ**).
- اعظم السعادة هي رؤية الله تعالى، قال تعالى: (**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**).
- وفي الحديث القدسي: **(اعددت لعبادي الصالحون ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر).**

المبحث الثالث

أثر العبادات في صلاح الفرد

للعبادة آثار في اصلاح الفرد، بعضها في الجانب النفسي، وبعضها الاخر في الجانب السلوكي، وسنبحث هنا هذين الجانبين كل منهما في فقرة مستقلة:

أولاً: الآثار النفسية للعبادة: من الآثار العبادة النفسية هي:

١. تؤدي العبادة الى الطمأنينة والشعور بالرضا وصفاء النفس من ادران القلق، فالنفس المرتبطة بالله تعالى تعرف جيداً القناعة بقدره وقضائه، وهي اساس راحة النفس من الاسف على ماض فات او القلق من القادم آت، قال تعالى: (**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**)، وقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (**عجباً لامر المؤمن ان امره كله له خير، وليس ذلك الا للمؤمن، فان أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وان اصابته ضراء صبر فكان خيراً له).**

٢. انارة القلب وتنمية الإرادة الخيرة، حيث ان العبادة وفعل الخيرات، تزكي النفس وتنير القلب، كذلك المعصية والشر تدنس النفس وتعمي القلب، قال تعالى: (**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ**).

٣. تؤدي العبادة الى الثقة بالنفس الناشئة من الحساس بمعية الله تعالى، حيث تكسبه الثقة بالنفس أملا دائماً في توفيق الله ما دام بين العبد وربه هذا الحبل، قال تعالى: (**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**).

٤. قوة الشخصية النابعة من إحساس المؤمن العابد بانه مرتبط القوي العزيز، قال تعالى: (**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**).

٥. آثار الصلاة على العبد، قال د. الكسيس كاريل عنها: (لعل الصلاة هي اعظم طاقة مولدة للنشاط عرفت الى يومنا هذا.....)

ثانيا: الآثار السلوكية للعبادة: تأثيرا قوياً على الناحية السلوكية، ويتضح مما يلي:

١. تمد المؤمن بالقوة والقدرة على فعل الخير وترك الشر، فهو متعاون على البر والتقوى وأمر بالمعروف وناه عن المنكر، ومحبة الغير، والعدالة وبر الوالدين والصبر.

٢. المؤمن العابد يكون بعيداً عن المحارم، لا تعرف الفاحشة اليه سبيلا، ولا تعرف الجريمة الى سلوكه طريقاً، ولا يغش ولا يكذب ولا يخون.....

والقاعدة: ان العبادة تقود صاحبها الى إعطاء كل خيره وعطاؤه لمجتمعه، وكف كل ضرره عنه، قال تعالى: (**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**).

الفصل الثالث

النظام الاخلاقي في الاسلام

الكلام في انظام الاخلاقي يستلزم التعريف بالأخلاق لبيان ما هيتها، ومنزلتها ومكانها في الاسلام، وخصائصها، وصلتها بالعقيدة، وهيمنتها على جميع الافعال والاقوال، وهذا ما سنبينه فيما يلي:

المبحث الاول

تعريف الاخلاق ومنزلتها ومكانتها في الاسلام

اولاً: تعريف الاخلاق:

الخلق لغة: السجية والطبع والمروءة والدين.

والخلق في اصطلاح العلماء: فقد عرفها الامام الغزالي (رحمه الله تعالى): **(كل صفة تظهر في القلب يظهر أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك الا على وفقها لا محال)**، فان صلاح سلوك الانسان منشاؤه صلاح قلبه وفساد سلوكه منشاؤه فساد قلبه، فالاشتغال بإصلاح القلب هو طريق تحسين الاخلاق، قال تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)**، فالقلب الصالح يصدر عنه الفعل الصالح والقلب الفاسد يصدر عنه الفعل الفاسد، قال تعالى: **(وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا)**، وبهذا تبدو أهمية الاخلاق وخطرها في تحديد تصرفات الانسان، وتأثير ذلك تأثيرا بالغاً في المجتمع.

ثانياً: منزلة الاخلاق في الاسلام:

نظراً لما ذكرناه من الاهمية البالغة للأخلاق وأثرها الكبير في صلاح سلوك الفرد وسعادته في الدنيا والاخرة، وسعادة المجتمع تبعا لذلك، فتظهر اهمية الاخلاق ومنزلتها في الاسلام من عدة وجوه منها:

١. ان الله تعالى علل الهدف من ارسال الرسل بإقامة القسط اي العدل في الناس، قال تعالى: (**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**)، وفي هذا دعوة عامة لكل معاني الاخلاق التي دعا اليها الاسلام.
٢. الاستقامة تجمع كل الاخلاق الفاضلة جعلها الله سبباً للفوز بالجنة، قال تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**)،
٣. لعظيم منزلة الاخلاق فقد اثنا الله تعالى على نبيه (صلى الله عليه وسلم) لاجتماع الاخلاق الفاضلة في صورتها المثلى فيه، قال تعالى: (**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**)، حيث تبين عظم ومكانة الاخلاق عند الله تعالى.
٤. علل النبي (صلى الله عليه وسلم) بعثته بأنها جاءت لإتمام مكارم الاخلاق، قال (صلى الله عليه وسلم): **(انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق)**، وهو يدل على ان مكارم الاخلاق في الاسلام في ارفع المنازل وأسماها.
٥. تعريف النبي (صلى الله عليه وسلم) الدين بانه حسن الخلق، فق جاء رجل الى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله، ما الدين؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) **(حسن الخلق)**، يدل على ان تحسين الخلق هو ركن الدين العظيم لا يقوم الا به.
٦. أكثر ما يدخل الجنة حسن الخلق مع التقوى، فقد سئل النبي عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: **(تقوى الله وحسن الخلق)**، اي ان حسن الخلق من أكثر ما يرجح كفة الحسنات حين وزن الاعمال في الاخرة.
٧. التفاضل بين المؤمنين في كمال الايمان بحسن الخلق، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): **(أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم اخلاقاً).**
٨. ولعظيم منزلة الخلق في الاسلام، فقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يدعو الله ان يبلغه اعلى مراتب الاخلاق حيث قال: (اللهم اهدني لأحسن الاخلاق فانه لا يهدي لأحسنها الا انت، وصرف عني سيئها، فانه لا يصرف عني سيئها الا انت).

المبحث الثاني

خصائص النظام الاخلاقي في الاسلام

الاخلاق الاسلامية تختلف عن الاخلاق الانسانية التي تتحدث عنها الفلسفات المختلفة، وهذ الاختلاف يظهر في خصائصها التي تنفرد بها وهي:

الخصيصة الاولى: الاخلاق الاسلامية متصلة بالعقيدة الاسلامية تستند اليها: فهي ليست مستقلة بنفسها، لو قائمة على فراغ كما هو حال الاخلاق الانسانية التي تمثل همسات توجيهية غير ملزمة معروضة لمن يشاء ان يأخذ بها حسب الرغبة. فالعقيد الاسلامية هي القاعدة التي تستند عليها مفردات الاخلاق الاسلامية، والانسان حين يلزم نفسه بتلك المفردات والخصال الخلقية سواء بفعل الحسن منها او بالكف عن القبيح منها انما يفعل ذلك بناء على عقيدة الاسلامية وايمانه، فهو انما يفعل ذلك اتباعاً لأمر

الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وسلم)، وبقدر ما يحمل من معاني العقيدة ورسوخها في نفسه، وبقدر خلو قلبه من العقيدة يكثر منه صدور اضدادها.

ولقد دلت نصوص القرآن والسنة على هذا الترابط بين الاخلاق والعقيدة ومن ذلك:

١. قال تعالى: (**إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ**)، فالكذب خلق سيء يورث النفاق، وينفي الايمان.
٢. قول النبي (صلى الله عليه وسلم): (**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا حدث كذب، وإذا وعد اخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**)، فقد جعلت السنة اجتماع الكذب، واخلاف الوعد، وخيانة الأمانة، والفجور في الخصومة سبباً ودليلاً على النفاق.

الخصيصة الثانية: هيمنة الاخلاق على جميع الافعال: الاخلاق الاسلامية شرعت لتسود العلاقات كلها في كل ميادين الحياة، وتسود افعال الانسان كلها، فهي مهيمنة على جميع الافعال والاقوال والعلاقات، وهذه الهيمنة تتجلى فيما يلي:

١. **نظام الاخلاق في الاسلام نظام تفصيلي:** لقد وضع الاسلام نظاماً تفصيلياً للأخلاق تناولت كل افعال الانسان واقواله وتحكم كل احواله، لذلك لم يأت نظام الاخلاق بشكل مجمل بل جاء بشكل تفصلي، فهو يقدم للحياة ما هو اجمالي موجز يشرع فيه مبادئه العامة ويترك التفصيلات والجزيئات والفروع تأخذ شكلها وفقا لتطور الزمان والمكان خاضعة لاجتهاد الفقهاء فيها، كما في قوله تعالى: (**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**)، فصلت الآية كل ما يدخل تحت البر والتقوى من جزئيات، وفصل كل ما يدخل تحت الاثم والعدوان، والحكمة من تفصيل الشامل لنظام الاخلاق في الإسلام هو الزام الناس به جملة وتفصيلا، بكل دقائقه وتفاصيله التي يجب ات تهيمن على كل أفعال الانسان واحواله والحيلولة دون اختلاف على تحديد مفهوم جزئياته وفروعه، وقطع الطريق على الاهواء والفلسفات ان تتدخل لتحديد معاني الاخلاق بعد ان جاءت بهذا الايضاح، وعليه فقد قدم الإسلام قائمتين مفصلتين:

أ- **الاخلاق المطلوبة شرعاً، ومنها:**

- الإستقامة: قال تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**)، وقد سال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا اسال احداً غيرك، قال: (**قل امنت بالله ثم استقم**).
- طهارة النفس: قال تعالى: (**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**).
- الوفاء بالعهد وبالعقود: قال تعالى: (**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**)، وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (**لا ايمان لمن لا أمان له، ولا دين من لا دين له**).

- غض البصر والعفة والاحتشام: قال تعالى: (**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**...).
- الصدق وقول الحق: قال تعالى: (**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**)، وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا. وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا**).
- التواضع وخفض الصوت: قال تعالى: (**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**).
- الصبر: قال تعالى: (**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ**)، وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (**انما الصبر عند الصدمة الأولى**).
- الاخاء وإصلاح ذات البين: قال تعالى: (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**).
- التراحم بين المؤمنين والشدة على الكافرين: قال تعالى: (**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**).

ب- الاخلاق المرفوضة شرعاً منها:

- الكبر والعجب بالنفس: قال تعالى: (**إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ**)، وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (**لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر**).
- الظلم: قال تعالى: (**وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا**)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم): (**اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة**).
- إشاعة الكلام الفاحش: قال تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**).
- التجسس والغيبة: قال تعالى: (**وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ**).
- السخرية واللمز والقول البذيء: قال تعالى: (**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**)، وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء).

٢. **شمول الاخلاق الإسلامية لكل ميادين الحياة:** لكي تكون الاخلاق الاسلامية مهيمنة على كل الافعال لابد ان تغطي كل علاقات الانسان من غير استثناء (علاقة الفرد بنفسه، وعلاقة الفرد بغيره سواء كان ذلك الغير الاسرة او المجتمع او الدولة، وكذلك علاقة الدولة بالمجتمع الدولي)، ولهذا ان الاسلام لا يعتبر دائرة القانون منفصلة عن دائرة الاخلاق، وانما هما مزيج واحد، وهذا بخلاف القوانين

البشرية فأنها تعتبر ميدان الاخلاق ميداناً مستقلاً عن ميدان القانون، لذلك فالقوانين الغربية لا تستطيع ان تمنع الزنا والكذب مع انها عنوان لسوء الاخلاق وتركت ذلك لتقدير الافراد في ممارسته، لا نها تقع في دائرة الاخلاق والافراد احرار فيها، كما لا توجب على الافراد الصدق والعفة.

اما في الشريعة الاسلامية لا يوجد هذا الفصل بينهما، فقد حث الاسلام على الصدق والعفة والوفاء بالعقود والامانة والمحبة....

ففي علاقة الفرد بالأسرة دعا الى ان تسود الاخلاق الاسلامية في العلاقة بين الزوجين، او بين الاباء والابناء والعكس، وكذلك العلاقة مع ذوي الارحام، وذوي القربي، بشكل تسود فيه الاخلاق الاسلامية.

وفي علاقة الفرد بالمجتمع تسري روح الاخلاق الاسلامية في كل جوانب التعامل ومختلف التصرفات، فالتشريعات الجنائية مثلاً: بنيت على اسس اخلاقية تظهر واضحة في تحريم الزنا والمعاقبة عليه، قال تعالى: (**لزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ**)، والقذف والعقوبة عليه، قال تعالى: (**الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً**).

فالإسلام ينشد مجتمعاً طاهراً تسوده العفة في الأفعال والاقوال، وهكذا بقية الحدود، فمبنى العقوبة في الإسلام أساسه أخلاقي، ومن اجل سيادة الاخلاق وهيمنتها حرم الإسلام بذاءة السان في السب والشتم والغيبة والنميمة، وحرم التجسس وشهادة الزور الغبن والغش.

اما في الجانب الإيجابي والندب: فقد شرع الإسلام عوض ذلك التودد والتراحم والصدق والأمانة والإحسان في كل شيء واراد لها ان تكون عملة متداولة في المجتمع بين الافراد في الاقوال والافعال والعقود والتصرفات، وكذلك في العلاقات الدولية.

الخصيصة الثالثة: امتلاك نظام الاخلاق الاسلامية الوسائل والضمانات لتطبيقه: نظام الاخلاق في الاسلام يمتلك الضمانات والوسائل التي تنقل مفردات الاخلاق الاسلامية النظرية الى التطبيق، لتسود كل العلاقات الفرد والمجتمع، وذلك عن طريق اعطاء الاخلاق الصفة القانونية الواجبة التطبيق، وهذا يتجلى بأمرين:

اولا: اعطاء الاخلاق صفة القانون المقترن بالجزاء: ان دعوة الاسلام الى الاخلاق في المجتمع ليست دعوى توجيهية يكون الانسان حراً في ان يستجيب او لا، كأنها نظريات معروضة لمن يحب الاخذ بها، ونما جعلها الاسلام ديناً واجب الاتباع وقانوناً يسري على الجميع مقترنة بالجزاء دنيوي وأخروي.

فالجزاء الدنيوي: يتمثل في العقوبات الشرعية عموماً والتعزير على المعاصي التي لا حد فيها ولا قصاص بوجه خاص، فبذي اللسان، وساهد الزور، وخائن الامانة، وعقوق الوالدين، كل هؤلاء وامثالهم معرضون لعقوبة التعزير من القضاء الاسلامي. فقد يكون شيوع هذه الاخلاق الرذيلة في المجتمع سبباً لعقوبة دنيوية اخرى هي هلاك

المجتمع الذي يشيع فيها الخلق الرديء وعلى راسه الظلم، قال تعالى: (**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً**).

والجزاء الاخروي: على الاخلاق فتمثل ضمانة اخرى لسيادتها في المجتمع، فقد قال تعالى: (**لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى**)، وقال ايضاً: (**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**).

ثانياً: تحديد الوسائل لاكتساب الاخلاق وتقويمها: يمتلك النظام الاخلاق في الاسلام جملة من الوسائل التي تحقق اكتساب الاخلاق وتقويمها، وهي وسائل اسلامية خالصة لا مقابل لها ولا نظير في الاخلاق الانسانية في الفلسفات المختلفة لانعدام هذه الوسائل لديها.

ان الاخلاق العملية المتمثلة بالسلوك قابلة للاكتساب وقابلة للتقويم بناء على تقويم أصلها، فالأخلاق الحميدة قابلة للاكتساب، والاخلاق السيئة قابلة للتقويم بالوسائل التي سوف نذكرها فيما يلي:

وسائل اكتساب الاخلاق وتقويمها: ينفرد النظام الاخلاقي الاسلامي بعدة وسائل لاكتساب الاخلاق، ومن أهمها:

١. العلم التفصيلي بمعاني الاخلاق الاسلامية، فلا يمكن معرفة ان الاسلام دعا دعوة عامة بمكارم الاخلاق ونهى عن سوء الخلق الا بمعرفة تفصيلية لكل مفردات الاخلاق التي دعا اليها الاسلام، وهذا يجعل المسلم امام ميزان اخلاقي جاهز ما عليه الا ام يعرض حاله عليه ليرى موقعه من الاخلاق الاسلامية، ثم يعمل بهمة ونشاط لاكتساب الخلق الحسن الذي خلت نفسه منه، وتقويم الخلق السيء واحلال الخلق الكريم محله.
٢. ان يعرف عظيم نفع الخلق الحسن له في الدنيا والاخرة، وعظيم ضرر الخلق السيء عليه في الدنيا والاخرة ايضاً، بان يعرف ان الخلق الحسن متصل بالإيمان وتقوى الله تعالى، وانه الموصل الى نوال رضوان الله تعالى والفوز بجنات النعيم، وان الخلق السيء دليل على ضعف الايمان او انعدامه، وسيكون سبب من اساب غضب الله تعالى وسخطه على العبد والخسران المبين يوم القيامة، قال تعالى: (**يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**).
٣. الاستحضار الدائم والمستمر لمفردات الاخلاق السيئة التي حذر الإسلام منها، للحذر منها باستمرار، كاستحضار خطر العدو الغادر الذي يتربص ويتحين أي فرصة للهجوم، وهذا الاستحضار يجعل القلب يقضاً، فان صدر منه شيء من الاخلاق السيئة فيكون ذلك على سبيل الاستثناء، فلا يألفه ولا يتعود عليه، وقد بين الله تعالى ان سبب خطيئة سيدنا ادم (عليه السلام) هو النسيان، حيث قال: (**وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا**).

٤. الاهتمام البالغ بتعميق معاني العقيدة الإسلامية في النفس تعميقاً منتجاً وفعالاً تظهر آثاره على اخلاق المسلم، وعلى رأس تلك المعاني: الايمان بالله واليوم الاخر وبرسالة النبي محمد (صلى الل عليه وسلم)، والاحساس بالغربة في هذه الدنيا، وان المسلم عما قريب سيرحل عنها، وسيجازى على اعماله، ومن تلك الاعمال اخلاقه، وان الله تعالى وعد وعد الصدق بالثواب على اخلاقه الحسنة، وبالعقاب على اخلاقه السيئة، ولهذا لا يكون المسلم الا متواضعاً لأنه عرف قدر نفسه بعد ان عرف ربه، ومن عرف قدر نفسه لن يتكبر ابدا، فتعميق في النفس وتقوية معاني العقيدة، وسيلة مهمة جداً للتخلق بالخلق الحسن والتخلي عن الخلق السيء.

٥. تزكية النفس لممارسة العبادات والطاعات الواجبة منها والمندوبة، لان العبادة والطاعة تشعر الانسان بحلاوة الايمان وبروعة الصلة مع الله تعالى، فيحرص على المداومة على تنمية هذا الشعور والتقرب الى الله تعالى بما يحبه من الاخلاق الحسنة، والابتعاد عن الاخلاق الذميمة، فممارسة العبادات ومنها الصلاة، فاداء الصلاة على الصورة الصحيحة ستكون سبباً بالبعد عن الاخلاق السيئة، فقد وصفها الله تعالى بانها تنهى عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: (**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**).
وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: (**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْت سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**).

٦. معالجة الخصلة الخلقية السيئة بضدها، وذلك بالقيام بالأعمال المضادة للأخلاق التي يراد التخلص منها، ومناقضة لمقتضاها، وسمي هذا المسلك بـ(ملك التضاد او المراغمة للشيطان)، لان الشيطان يعمل على ابقاء الخلق السيء وتسويفه بالمبررات الباطلة، فاذا اراد المسلم مناقضة هذا الخلق بأعمال معاكسة له قطر الطريق على الشيطان، فيستطيع الانسان بقوة ايمانه التغلب على تلك الوساوس، قال تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ**)، ثم ان الله تعالى وصف كيد الشيطان بالضعيف حيث قال: (**إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**).

٧. اختيار البيئة الصالحة للعيش في جو ايماني تسوده الاخلاق الإسلامية، وذلك بمصاحبة الصالحين المتخلقين بأخلاق الإسلام، قال تعالى: (**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**)، وذلك لأثر مجالسة الصالحين والسماع منهم تؤثر في النفس وتنمي فيها ممارسة الاخلاق الحسنة ونبذ الخلق السيء، وقال النبي (صلى الله عليه وسلم): **(لا تصاحب الا مؤمناً ولا يأكل طعامك الا تقي).**

٨. اتخاذ مثل اعلى للاقتداء به، واعلى مثل في الاخلاق هو رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، حيث قال الله عنه: (**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**)، وامرنا الله تعالى بالتأسي

به، حيث قال: (**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**).

الفصل الرابع

النظام الاجتماعي في الاسلام

لا بد للإنسان من مجتمع يعيش فيه، اذ لا يتصور عيش الانسان خارج المجتمع نظرا لاحتياجه الى غيره، واحتياج غيره اليه، فالمجتمع ضرورة حتمية لقيام حياة انسانية، فالإنسان كائن اجتماعي بطبعه، فالإنسان كما يقول ابن خلدون: (مدني بالطبع)، حيث وجد المجتمع فلابد من وجود نظام يقوم عليه فيه ضوابط وحقوق وواجبات، ولان انعدام النظام يعني الحرية المطلقة والتي تفضي الى الفوضى والهلاك.

ولكن وضع نظام اجتماعي معين يحتاج الى معرفة تامة بالإنسان وبالواقع الذي يعيش فيه، ومثل هذا النظام غير ميسور لحد الان كما يقول علماء الاجتماع، لذلك احتاج الامر في هذا النظام الى خالق الانسان العليم بفطرته وتكوينه، الذي وضع نظاماً يحقق له التوازن بين فردية الانسان وجماعيته، فكفانا نحن المسلمين مؤنة البحث عن هذا النظام المثالي.

المبحث الاول

اساس النظام الاجتماعي الاسلامي وثمرته

لم يقم الاسلام نظام المجتمع على اساس السلالة تو الاقليم او القبيلة او الجنس، وهي الاسس التي كانت تقوم عليها المجتمعات قبل الاسلام، وانما جاء باساس جديد يقوم على بناء المجتمع على اساس العقيدة الاسلامية، وجعل كل من اعتنقها عضواً في المجتمع المسلم من اي قبيلة او اقليم او جنس، واحتاطت هذه العقيدة لغير المسلم فشرعت التشريعات التي تضمن له نفسه وماله وعرضه وعبادته الدينية مادام مسالما ومادام من رعايا الدولة الاسلامية.

ثمرات اتخاذ العقيدة الاسلامية كأساس لقيام المجتمع المسلم ونظامه، نذكر منها ما يلي:

١. **نشوء رباط الاخوة بين افراد المجتمع:** وهي صفة زائدة عن صفة المواطن في الدولة الحديثة في الديمقراطيات الغربية، قال تعالى: (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**)، وقول النبي (صلى الله عليه وسلم): **(انما المؤمنون اخوة)**، لم تكن رابطة الاخوة مجرد نظرية يرغب الإسلام ان تسوج في مجتمعه، بل نقلها النبي (صلى الله عليه وسلم) الى صعيد التطبيق العملي وضرب لها المثل الأعلى في نظام المؤاخاة بين المهاجرين والانصار حيث آخى بينهم مؤاخاة كان من ثمراتها اعلى درجات الحب الايثار، وهذه الاخوة تتضمن التزامات وحقوقاً واجبة الوفاء بها لكل المعتنقين للإسلام منها:

أ- تنقية النفوس من اسباب الخصومة من الغل والحقد والحسد والغش والتي تتعارض ومعنى الاخوة التي يرجوها الاسلام.

ب- الالزام بمقتضيات الاخوة ومنها: ان تحب لأخيك ما تحبه لنفسك، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): **(لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه).**

ت- التعاون من اجل مساندة كل محتاج، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): **(والله في عون العبد مادام العبد في عون اخيه).**

ث- ايثار الغير على النفس، قال تعال: (**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**).

ومثل هذا الرباط لا يمكن ان يوجد في أي نظام وضعي بشري، قال تعالى: (**لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ**)، وهكذا يوجد الإسلام عن طريق رابطة الاخوة بين الافراد مجتمعاً موحداً قوياً متماسكاً فيه اعلى درجات الشعور بالمسؤولية، بعيداً عن الانحلال والانانية والفردية المطلقة.

٢. **انتشار المعروف وانحسار المنكر: المعروف:** اسم جامع لكل ما شرعه الاسلام وارتضاه، والمنكر: اسم جامع لكل ما أنكره الاسلام ورفضه، وقد اثرت العقيدة الاسلامية تأثيرا بالغاً باتجاه انتشار المعروف وانحسار المنكر وبذرته في المجتمع فكان ثمرة من ثمراته، والمعتنق لهذه العقيدة **يخلع** في بابها وهو داخل اليها كل اوضار الجاهلية ومنكراتها، ذلك عهده مع الله، وتلك بيعته لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، و**يدخل** الى هذه العقيدة وكأنه ولد حديثاً بشخصيته جديدة جبلت على فعل المعروف طاعة لله ورسوله، قال تعالى: (**وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ**)، وطبيعي

ان ينتشر المعروف في مثل هذا الجو لان الكل يفعله، لأنه الطريق الى رضوان الله تعالى، وينحسر المنكر، لان الكل ينكره، لأنه الطريق الى سخط الله تعالى، قال تعالى: (**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**).

٣. **نبذ العصبية وتقرير مبدأ النصر للمظلوم**: لقد كانت العصبية القبلية هي السائدة في المجتمع قبل الاسلام وشعارهم في ذلك: (انصر اخاك ظالماً لاو مظلوماً)، اي تنصر افراد القبيلة سواء أكان ظالماً او مظلوماً بناء على العصبية، ولقد استبدلها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في صحيفة المدينة: (وان النصر للمظلوم)، فحصر النصر به واوجب العقاب على الباغي كائناً من كان، حيث جعل الولاء للإسلام بدلا من الولاء للقبيلة.

٤. **تقرير مبدأ التقوى أساسا للتفاضل بين الناس**: حيث ان التفضيل في الاسلام يكون على اساس التقوى وما يحمله في نفسه من فضائل واخلاق كريمة، وبقدر ما يقدم من اعمال صالحة تجاه ربه واتجاه مجتمعه بنية صالحة، وبقدر ما يكف عن الرذائل والجرائم والشرو، قال تعالى: (**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**)، وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (**لا فرق بين عربي ولا أعجمي ولا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى**).

المبحث الثاني

السمات البارزة في النظام الاجتماعي الاسلامي

للنظام الاجتماعي الاسلامي خصائص وسمات وصفات بارزة يتميز بها عن غيره من النظم الاجتماعية السائدة، ومن اهم تلك السمات هي:

اولاً: سيادة الاخلاق: يمتاز النظام الاجتماعي الاسلامي بحرصه الشديد على سيادة الاخلاق في مجتمعه، ويظهر ذلك بوضوح تام من خلال تقديم الاسلام لنظام تفصيلي للأخلاق ليقوم المجتمع على اساسه، واعطاء الاخلاق المكانة السامية من خلال النصوص الصريحة، اعطاء الاخلاق صفة القانون الواجب التطبيق.

ثانياً: سيادة العدالة في المجتمع: لقد تميز النظام الاجتماعي في الاسلام بحرصه على سيادة العدالة على الحاكم والمحكوم على السواء، فلقد تضمن القرآن الكريم آيات كثيرة تأمر بالعدل، وتدعو الى القسط، وتنهى عن الظلم، فقد قال تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**)، وفي السنة النبوية ادلة كثيرة تدعوا الى إقامة العدل، وهذا ما سنذكره في ادناه.

ان الإسلام ينفرد في انه لا يكتفي بالعدالة الظاهرة التي تدل عليها البينات، بل يدعو الى العدالة الحقيقة التي يعلمها الله تعالى، وان خالفتها ظواهر الأمور، ويدل على ذلك قوله (صلى الله عليه وسلم): (**إنما أنا بشرٌ، وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له بنحو ما أسمعُ، فمن قضيت له بحقِّ أخيه فإنما أقطعُ لهُ قطعة من النارِ**)، فهذا الحديث يريد من كل فرد في المجتمع الإسلامي ان يقيم في داخل نفسه محكمة قبل محكمة القضاء غرضها تحقيق العدل الذي يعرفه هو، وان خفي عن القاضي، ويجعل الله تعالى رقيباً على ذلك.

وأهم مظاهر العدل المساواة بين الناس في المجتمع، وهي من أهم صور العدل، فقد دعا الإسلام الى المساواة بين افرد المجتمع في الحقوق والحريات الشخصية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها، ومساواة الاب بين أبنائه، ومساواة الزوج بين زوجاته، ومساواة القاضي بين الخصوم، والمساواة القانون بين الافراد، وكل ذلك له شواهد في القرآن والسنة.

وأهم أنواع المساواة هي:

١. المساواة امام احكام (قانون) الشريعة الإسلامية: فأحكام الشريعة الإسلامية لم تفرق جنس على جنس، ولا لون على لون، ولا اجير على الامير، ولا اسود على ابيض، ولا بين الرئيس ومرؤوس، فكلهم امامها سواء.

وقد جاء تشريعات الكتاب والسنة عامة من غير التفريق بين الناس، ولقد أكد ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هذا مبدأ المساواة امام احكام الشريعة حين رفض الشفاعة في المرأة المخزومية التي سرقت، حيث قال: (**إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهمُ الشريف تركوهُ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد! وايم الله، لو أن فاطمة بنت مُحمدٍ سرقت لقطعتُ يدها**)، وكذلك من الشواهد التاريخية على المساواة، ان ابن والي في مصر عمرو ابن العاص (رضي الله عنه) لطم قبطياً لأنه سابقه فسبقه فشكاه الى الخليفة سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فأرسل الخليفة الى عمرو بن العاص وابنه والى الذي رفع الشكوى وقال له: أهذا الذي ضربك؟ قال نعم. قال: اضربه فاخذ يضربه حتى اشتفى فقال له سيدنا عمر (رضي الله عنه) زد ابن الاكرمين ثم قال لعمرو بن العاص قولته المشهور: (من١ كم يا عمرو تعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحرارا)

٢. المساواة امام القضاء الإسلامي: لقد جعل الإسلام المواطنين اما القضاء الإسلامي سواء، من ناحية خضوعهم لولاية القضاء، لا ميزة في ذلك لاحد من الناس، حتى رئيس الدولة الإسلامية نفسه عليه ان يحضر الى ساحة القضاء، قال تعالى: (**وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**).

وقد أكد فقهاء المسلمون هذا المعنى فقالوا على القاضي: (التسوية بين الخصوم في المدخل واللحظ واللفظ والمجلس من دون تمييز بين الخصوم)، ويؤيد هذا ما روي عن امير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) انه تقاضى وابي بن كعب الى القاضي زيد بن ثابت (رضي الله عنهم) في محاكمة

بينهما فقصده (أي زيد) في داره، فقال زيد لعمر (رضي الله عنهما): لو أرسلت الي لجئتك، فقال له: في بيته يؤتى الحكم، فاخذ زيد وسادته ليجلس عليها عمر، فقال عمر (رضي الله عنه): هذا أول جورك، سو بيننا في المجلس، فجلسا بين يديه.

ثالثاً: ارساء نظام الاسرة والعناية بها: تعد العناية بمكانة الاسرة وارساء نظام المجتمع على اساس ميزة من مميزات النظام الاجتماعي الاسلامي، وهي ميزة يتميز بها النظام الاجتماعي الاسلامي بالمقارنة مع النظم الاجتماعية السائدة في العالم.

ففي الفكر الماركسي: الذي يجعل الافراد رجالاً ونساءً عملاً لدى الدولة، فتحصل المرأة على ما تعيش به من الدولة مقابل عملها، واما الاولاد الذين يولدون تقوم الدولة بتربيتهم، فتنتفي الحاجة الى الاسرة التي ينفق فيها الرجل على بيت وعلى المرأة وعلى الاولاد.

وفي النظم الغربية: فالأسرة مفككة بسبب الفوضى الجنسية في ظل الحضارة المادية الخاصة، وبسبب العلاقات الغير مشروعة التي يمارسها الزوجان خارج الأسرة، فالتشريعات التي تسود تلك المجتمعات تمنع الزوج من طلاق زوجته مع وجود خلافات بينهما ادت الى وجود العلاقات الغير مشروعة.

*** لمحات من الاهتمام بالأسرة في النظام الاجتماعي في الاسلام:**

١. لمحة عن الزواج واحكامه:

دعا اسلام الى الزواج باعتباره الطريق لتكوين الاسرة، وبقاء الجنس البشري، وتصريف الغرائز البشرية بشكل نافع ومباح، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (يا معشر الشباب، من استطاع الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاءٌ).

فبالزواج تسكن النفس ويحصل لها الرضا التام وتشبع الحاجات لفطرية من المودة والحمة، قال تعالى: **(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)**.

وندب الإسلام الى رؤية المخطوبة، وحث على اختيار المرأة الصالحة، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): **(تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك)**.

كما حرم الخلوة بالمخطوبة غير المعقود عليها، لأنها لا تزال اجنبية حفظاً لدينهما ولمصلحة المرأة إذا ما حصل عدول من الرجل عن الخطبة.

وإذا حصل اتفاق شرع الإسلام عقداً ميسراً تترتب عليه الحقوق والواجبات بين الطرفين،

فمن حقوق المرأة:

أ- **المهر:** وهو حق خالص لها دون أهلها، ويستحب عدم المغالاة به، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (خير الصداق أيسره).
ب- **النفقة** من الرجل على المرأة ما دامت قائمة بواجباتها الزوجية، فاذا نشزت سقطت نفقتها، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف).
ت- المعاملة الحسنة: قال تعالى: (**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**)، وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (خيركم خيركم لأهله، وانا خيركم لأهلي).

واما حقوق الزوج:

أ- حق الطاعة في المعروف، لان القوامة له، قال تعالى: (**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**).
ب- حقه ان لا تخونه في شيء.
ت- ان تربي أولاده.

٢. تعدد الزوجات:

شرع الاسلام الزواج بواحدة وهو الاصل، فقد قال تعالى: (**فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا**)، أي ذلك أقرب الى الا تظلموا، الا ان الإسلام دين واقعي بنى تشريعاته على اقصى قدر من المصالح الدنيوية والاخروية ودرء المفاسد لا يغفل عن الاستثناء في بعض الأحوال وتحقيق المصلحة، فلذلك رخص بتعدد الزوجات، مع عدم غفلته عن الضرر والاذى الذي يلحق الزوجة الاولى من جراء الزواج بزوجة ثانية، وذلك استثناء من القاعدة العامة بالاكتفاء بواحدة، لما له من مصلحة للزوج اكبر من الضرر الذي يلحق الزوجة.

فالآية التي اباحت التعدد مع التحفظات التي قيدته بها هي قوله تعالى: (**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا**).

حيث يفهم من الآية الكريمة ان الإسلام ما جعل التعدد واجباً او مندوباً ولكنه جعله مباحاً لضرورات الواقع للفرد والمجتمع مع الارشاد للاكتفاء بواحدة في حال عدم القدرة على العدالة بينهم. ومن هذه الضروريات التي تبيح التعدد هي:

أ- عقم الزوجة مع الرغبة في الذرية، للإسهام في خدمة المجتمع والدين.
ب- مرض الزوجة مرضاً يمنع من القدرة على الوفاء ببعض الحقوق الزوجية.
ت- الواقع يشهد ان من الرجال من لم يكتف بزوجة واحدة، فجاز له التعدد.
ث- كثرة عدد النساء في بعض المجتمعات وبخاصة عقب الحروب او الكوارث مع قلة الرجال.

٣. لمحة عن الطلاق وأحكامه:

الاسلام لا يرغب في الطلاق لان فيه هدماً للأسرة، والاسلام يسعى لبنائها، ولكن إذا فشلت الحياة الزوجية، او تعذرت فليس من الحكمة ان يجمع التشريع رجلاً

وامرأة تحت سقف واحد إذا كانا متباغضين متخاصمين ليعيشا تحت هذا السقف، ولذلك شرع الطلاق.

والاسلام وان اجاز الطلاق فلقد وضع جملة من الوسائل الوقائية لإصلاح الحياة الزوجية قبل الطلاق منها:

أ- اعتبر الاسلام كراهية الزوج لزوجته ليست سبب مبرراً للطلاق، قال تعال: **(وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا)**.

ب- إذا سارت الزوجة في طريق المشاكسة والنشوز قدم الإسلام للزوج حلاً، فقال تعالى: **(وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا)**.

ت- فاذا لم ينفع هذا الحل قدم الإسلام حلاً آخر، قوله تعالى: **(وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا)**.

ث- وإذا فشلت كل الوسائل السابقة تعين الطلاق، ووجب على الزوج ان يطلق بطريقة تضمن التأكد من رغبته في الطلاق، وذلك بان يطلقها تطليقة واحدة رجعية في طهر لم يجامعها فيه، فاذا فعل ذلك شرع الاسلام العدة وهي ثلاثة قروء وهي فترة لمراجعة الزوج نفسه في ذلك، فاذا انتهت العدة ولم يراجع الزوج زوجته صارت اجنبية عليه، له ان يرجع اليها بعقد ومهر جديدين، فاذا طلقها ثانية وثالثة لم تحل له بعد ذلك حتى تنكح زوجاً غيره نكاحاً حقيقياً

فلهذا التنظيم الدقيق للطلاق يهدف الى حماية الاسرة الى ان ينتهي آخر أمل في انقاذها.

٤. لمحة عن الحقوق الاخرى لأفراد الاسرة بوجه عام:

نظم الاسلام لصغار الاسرة حقوقهم على ابويهم، ومن اهم تلك الحقوق هي:

أ- ثبوت النسب وما يترتب عليه من حقوق.

ب- وجوب الانفاق عليهم من قبل الاب فان انفقت الام كانت متبرعة.

ت- وجوب الارضاع من قبل الام، قال تعالى: **(وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ)**.

ث- كما نظم الإسلام احكام الحضانة اذا وقعت الفرقة بين الزوجين بشكل عادل، متوافق مع الفطرة، وتحقيق المصلحة المحضون بالدرجة الاساس.

كما شرع الاسلام للأبوين حقوقاً على الاولاد منها:

أ- بطاعتهما بالمعروف.

ب- وبرهما بأقصى درجات البر وقرن الاحسان اليهما بعبادته تعالى، حيث قال تعالى: **(وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا)**

كما شرع صوراً لتضامن بين افراد الاسرة والكفالة بيهم، وشرع **نظام الميراث** الذي يحقق التضامن والتكافل بين افراد الاسرة ايضا، فضلا عن نتائج توزيع الميراث الاقتصادية والتي تدفع الى الاستثمار الثروة.

كما نظم **احكام الولاية** على النفس والمال وهي تتضمن اعلى صور الرعاية بين اعضاء الاسرة.

رابعاً: العناية بمكانة المرأة وتعيين دورها في الحياة:

لم يترك الاسلام العناية بمكانة المرأة للأهواء والميول، بل وضع لها منهج ألهى معلوم وخطة مرسومة تجعل من المرأة بمركزها المرسوم تسهم في انتاج حضارة روحية ومادية بعيدة عن التردي في مهاوي هلاك الامم ودمارها، فتناول موضوع المرأة بما يتفق وقرانين الفطرة، والتي ما خالفتها أمة من الامم الا وجدت عقاب ذلك قاسياً

فالإسلام وضع منهجاً عظيماً بالنسبة لحقوق المرأة، فقدم الصورة المثلى لتلك الحقوق والحريات ودورها في الحياة، وظيفة، وسلوكاً، وآداباً مثمرة، فنقل المرأة من وضعها المهين قبل الاسلام الى أعلى درجات الرفعة، فقبل الاسلام كانت توءد حية، وتحرم من الميراث، وتتهم في رأي بعض المجامع الكنسية في روما بأنها حيوان نجس لا روح له ولا خلود، وشرع القانون الروماني حقاً للزوج ان يبيع زوجته ويأخذ ما عندها من مال.

ان التشريعات الاسلامية بشأن المرأة لا يتصور ان يدخلها محاباة الرجل على المرأة، فلسنا امام تشريع بشري يحابي طبقة على اخرى، لو جنس على جنس، او رجالاً على نساء، بل هو تشريع الخالق الذي يحقق العدالة المطلقة بين المخلوقين ويبين حقوقهم ومركزهم وواجباتهم بناء على قابلياتهم واستعداداتهم وفطرتهم التي فطرهم عليها، قال تعالى: (**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**)، فاذا وجد تغاير في الاحكام الشرعية بين الرجل والمرأة فان مرجع ذلك الى الاستعدادات والقابليات الوظيفية والفطرة لكل منهما.

*** ما شرع الإسلام للمرأة لبيان مكانتها:**

١. **حقوق المرأة في الإسلام:** الأصل ان كل ما شرعه الإسلام من حقوق وحريات للإنسان بوجه عام ليست خاصة بالرجل وحده وانما تدخل فيه المرأة، سواء أكانت حقوقاً او تكليفاً الا ما استثنيت منه بدليل خاص، او اختصت به من الحكم وحدها، **ومن هذه الحقوق التي اختصت به المرأة هي:**

أ- حق الحياة: باعتبارها نفساً معصومة كالرجل، يقتل الرجل قصاصاً إذا قتلها، قال تعالى: (**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**).

ب- حق التكريم الشخصي كالرجل تماماً، لأنها من بني آدم، قال تعالى: (**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**)، وهذا الحق يمثل إلتزاماً على الكافة بإعزاز المرأة واحترامها

وابعاد كل ما شأنه إذلالها، ويتضمن ايضاً تكريماً اجتماعياً بتمكينها من العيش الكريم وسد حاجاتها، وهذا الحق للرجل والمرأة معاً لا نظير له حتى في الإعلان العالمي لحقوق الانسان.

ت- حق الذمة المالية كاملة، من حيث اكتساب الحقوق والأهلية للالتزامات، فلم يجعلها قاصرة في التصرفات المالية.

ث- حق القبول أو الرد لمن يتقدم لخطبتها.

ج- حق المهر عند الزواج، فهو حق خالص لها دون أهلها.

ح- حق النفقة، فعلى الزوج النفقة على زوجته مقابل القرار في بيت الزوجية.

خ- حق الحضانة للأولاد في حال الفرقة بين الزوجين.

د- حق التعلم، بل جعل بعض العلوم واجباً عليها كالعقيدة، والحلال والحرام، بشرط تقيدها بالآداب الإسلامية والضوابط التي تحفظ لها طهرها وعفتها وتحفظ للمجتمع دينه واستقامته.

ذ- حق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ضمن ضوابط الشرعية السابقة، قال تعالى: **(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)**.

ر- مساواة الرجل في التكاليف والخطابات الشرعية في ميزان الاعتقاد والمعاملات والعقوبات بوجه عام الا ما استثني مرعاه لحال المرأة وطبيعتها.

ز- حق المساواة في الجزاء في الاخرة كالرجل، قال تعالى: **(فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ).**

٢. **دور المرأة الاساسي في الحياة في نظر الإسلام:** لمعرفة دور المرأة في الحياة والمجتمع في نظر الإسلام لابد من التأكيد على بعض الحقائق، منها:

أ- ان الله تعالى خلق المرأة، وركب فيها طبيعة الانثى وغرز في فطرتها عوامل الامومة والرغبة بها، وركبها تركيباً معداً للحمل والانجاب من اجل بقاء النوع الإنساني في هذه الأرض.

ب- ان حضارة أي امة من الأمم لا يكتب لها التقدم والدوام معاً الا بكثرة أبنائها المسهمين في تقدمها، والذين تربوا تربية سليمة داخل الاسرة، وكل سبب يؤدي على تقليل او تحديد او منع النسل لأسباب منها عمل المرأة او التقصير في رعاية الطفل من قبل الام لنفس السبب انما هو عمل يمنع الامة من التقدم ومن ثم تدهورها، فاضمحلالها ونهايتها.

ت- يستحيل قيام حضارة مستمرة دائمة الا برفد المجتمع بالأجيال المسهمة في تقدمه، وعليه فلا بد ان تقوم المرأة بدورها الهام ووظيفتها الأساسية في الانجاب والتربية.

وفي ضوء تلك الحقائق دلت عليها الفطرة والعقل والاستقراء، أسس الإسلام وظيفة المرأة وبين دورها الأساس في الحياة، فارشد الى الزواج، لإتاحة الوقت الكافي للمرأة لبناء الجيل تحت اشرافها ورعايتها المستمرة، كذلك أسقط عنها بعض الواجبات كحضور صلاة الجماعة والجمعة مثلاً، وأكد دورها هذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حيث قال: (والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها...).

ولبيان دور المرأة فقد جعل القرار في بيت الزوجية واجباً عليها، وحقاً للزوج، فلا تخرج الا بأذنه، وجعل حق الحضانة لها حال الفرقة، والانفاق واجب على الزوج حال الزوجية والفرقة، لئلا تضطر الى التكسب فتهمل العناية بصناعة جيل المستقبل، إذ هذه المهمة في نظر الإسلام أهم من عمل المرأة خارج البيت، ولكن هذا الذي قلناه لا يمنع شرعاً المرأة المحتاجة الى التكسب ان تخرج للتكسب اذا دعت الضرورة او الحاجة، كما لا يمنع النساء من العمل ولو بصورة مستمرة خارج البيت في بعض المرافق العامة التي يشكل فيها قيام المرأة بذلك العمل واجباً كفائياً كالطبيبة لمداواة النساء، دفعاً لقيام الرجل بذلك خوف الاطلاع على العورات، ولكن بشرط ان تلتزم المرأة بالشروط والضوابط التي تخص هذا الخروج، وهنا لابد من ان نقر، انه لا يجوز شرعاً ان تتحول المرأة في الامة بصورة شبه جماعية من وظيفتها الاصلية في الحياة الى العمل بالاستثناء على سبيل الدوام والاستمرار، لان في هذا تعطيل لمقاصد الشرع في الانجاب والتربية، والواقع يشهد ان الإسلام عبر القرون التي حكم فيها استطاع ان يقيم حضارة عظيمة بالدور الذي رسمه للمرأة فيها ما لم يستطيع أي نظام ان يحققه الى اليوم.

٣. سلوك المرأة وآدابها في الاسلام:

خامساً: تقرير مبدأ ثنائية المسؤولية في المجتمع:

هذه الخاصية التي انفرد بها النظام الاجتماعي الاسلامي من بين النظم في العالم، فالأفراد في المجتمع الاسلامي أمام مسؤوليتين اثنتين، فكل مسلم فيه مسؤول عن تنفيذ احكام الشريعة على نفسه أولاً، وحمل غيره على تنفيذها ثانياً، قال تعالى: (**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**).

ومبدأ ثنائية المسؤولية مقرر في النصوص الشرعية:

ففي القرآن الكريم: قال تعالى: (**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**)، وقال أيضاً: (**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**)، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر يفضي الى تطبيق احكام الشريعة الإسلامية ويحمل الامة على تنفيذ الشرع وتطبيقه على الافراد والمجتمع.

وبين ان مسؤولية تنفيذ هذا المبدأ واجب على الأفراد، حيث قال الله تعالى منددا ببني إسرائيل لتركهم هذا الواجب وتنصلهم من هذه المسؤولية حيث قال: (**كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**)، ثم بين خطر التهاون في المسؤولية، حيث قال تعالى: (**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**).

وان مبدأ ثنائية المسؤولية من أسباب النجاة اذا حل العقاب بالعباد، قال تعالى: (**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**).

اما في السنة النبوية: حيث أكد هذا المبدأ وجعلت من يأمر نفسه ولا يهمه امر المسلمين ومجتمعهم ليس من المسلمين، حيث قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم)، وبين مسؤولية الفرد عن حمل غيره على تنفيذ شرع الله تعالى بإزالة المنكرات والمفاسد، حيث قال (صلى الله عليه وسلم): **(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه، فان لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الايمان)**، فإنكار المنكر يكون اولاً باليد ثم بالسان عن طريق النصيحة، ثم يكون بالقلب أي ينكر المنكر في نفسه ويكرهه من غير ان يوجه الفاعل، وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيمن ينكر بلقبه: (ليس وراء ذلك من الايمان حلة خردل)، وقال العلماء: ان الله تعالى قد عد عدم الانكار بالقلب ردة عن الإسلام، حيث قالوا في تعريف المرتد: (المرتد من اشرك بالله، او كان مبغضاً للرسول (صلى الله عليه وسلم)، ولما جاء به، أو ترك انكار منكر بقلبة).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (والله لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق اطراً، ولتقصرنه على الحق قصراً، او ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم).

يتضح مما سبق ان مبدأ ثنائية المسؤولية يؤدي الى اقصى درجات تنفيذ احكام الشريعة الإسلامية التي توصل الى تحقيق مقاصد الشريعة في جلب المصالح الاجتماعية، ودرء المفاسد والاضرار عن الفرد والمجتمع وهذا لا يوجد له نظير في نظم المجتمعات قديماً ولا حديثاً.

سادساً: كفالة النظام الاجتماعي لجميع الافراد:

الفصل الخامس

النظام البيئي في الاسلام

البيئة هي المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، ومنها يحصل على الطعام، والشراب، والهواء، والكساء، وفيها يتفاعل مع الكائنات والمكوّنات، والإنسان دائماً يستخدم معارفه ومهاراته التي أودعها الله فيه للبحث في هذه البيئة عن حاجاته ومتطلّباته، والبيئة متوازنةٌ كما خلقها الله، وتستطيع تأمين الإنسان بما يلزمه لاستمراريّة حياته بالإضافة للكائنات الأخرى، ولكنّ تصرّفات الإنسان غير المنضبطة مع البيئة أفقدتها توازنها، وأحدثت عديداً من المشاكل، لذلك يلزم تحقيق وعيٍ بيئيٍّ من قِبل المسؤولين عن البيئة بالإضافة إلى أبناء المجتمع؛ ليعملوا سويّاً على إيجاد حلٍّ لهذه المشاكل، ومن الخطوات المتّبعة لتحقيق وعيٍ بيئيٍّ ما يأتي:

- تربيته الإنسان على احترام البيئة، وتوجيهه للتعامل معها من منطلقٍ إيمانيٍّ، وتعزيز هذا الجانب عنده.

- توجيه الإنسان للعلاقة الإيجابية بينه وبين البيئة، وما فيها من كائناتٍ ومكوّناتٍ، بحيث يصبح لديه انتماءٌ صادقٌ في نفسه لها.
- العمل على توفير معلوماتٍ بيئيّةٍ صحيحةٍ مبسّطةٍ وسهلةٍ للأفراد والمجتمعات، والعمل على نشرها بطرقٍ ووسائل تربويّةٍ وإعلاميّةٍ وإرشاديّةٍ.
- ربط العلوم البيئيّة بتعاليم الدّين الإسلاميّ؛ ليتحقّق النفع من تعلّمها واستخدامها.

وسائل المحافظة على البيئة في الإسلام

أمر الإسلام بالإضافة إلى جميع الأديان السّماويّة الإنسان بالمحافظة على البيئة؛ وذلك لأنّ الحفاظ عليها يصبّ في مصلحة الفرد خاصّةً والمجتمع عامّةً، فخلق الله تعالى الكون، وجعل له نظاماً دقيقاً بديعاً، فقال: (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ)، فأوجد الله الجبال؛ لتحافظ على توازن الأرض، وخلق النباتات بأنواعٍ وأعدادٍ؛ لتسدّ احتياجات الكائنات الحيّة، وأوجد الله كلّ شيءٍ؛ ليحدث توازناً في الكون، والكون كلّه مسخّرٌ للإنسان فلذلك من واجب الإنسان الحفاظ عليه، وعلى نظامه الذي خلقه الله عليه؛ لأن أيّ خللٍ فيه يحدث اضطراباً وعدم توازنٍ يؤثّر على الإنسان وعلى الكائنات الأخرى.

حثّ القرآن الكريم المسلم على حماية البيئة والمحافظة عليها، وعدّ الإسلام ذلك واجبٌ دينيٌ، وأمر الله -تعالى- بالتعامل مع البيئة على أنّها ملكيةٌ عامةٌ يتوجّب على المسلم المحافظة على مكوناتها وثرواتها ومواردها، وأنّ الأرض وما فيها من نعم الله تعالى التي يجب على المسلم شكر الله عليها؛ لتثبت وتستمر ويزيده الله منها، أمّا إن لم يؤدها بواجبها ولم يشكر الله كان ذلك سبباً في زوالها واضمحلالها ، وحين خلق الله تعالى جعله خليفةً في الأرض، والأرض أمانةٌ يجب على الإنسان حمايتها، وسخّر الله الأرض للإنسان لإدراك كلّ ما تعلقت به حاجات الناس من غرسٍ وحرثٍ وبناءٍ، وكذلك جاءت السنة النبوية بالحثّ على المحافظة على البيئة وعدم الإضرار بها بأي شكلٍ من الأشكال، فالضرر بالإسلام منهيٌ عنه في جميع صوره، وقد أمر النبي -صلّى الله عليه وسلّم- بإماطة الأذى عن الطريق والأذى يشمل جميع الأنواع، كما إنّ إماطة الأذى عن الطريق من الإيمان، وجعل من حقوق الطريق كفّ الأذى، واهتمت السنة بتخضير الأرض والغرس والتشجير، وعلى الإنسان أن يراعي الاعتدال والوسطية في الأرض، وركّز الإسلام على مبدأ مهم بقيام الإنسان بعمارة الأرض، والسعي في ذلك باجتهادٍ ونشاطٍ، والتعاون على البرّ والتقوى، والابتعاد عن إفساد الأرض في تربتها ومائها وهوائها والكون بكلّ ما فيه، وبالنسبة للمياه فقد حثّت السنة النبوية على المحافظة على الثروة المائية، وعدم الإسراف بها، ومن صور ذلك: كراهية الإسراف بالماء عند الوضوء والزيادة عن ثلاثٍ، كما لا بدّ من المحافظة على الماء من التلوث، وذلك بالنهي عن التبوّل في الماء الراكد، وكراهة التنفّس في الإناء عند الشرب منه، وكراهية الشرب من فم الإناء، ومن التوجيهات النبوية فيما يتعلّق بالبيئة عدم احتجاز الأرض، والحثّ على زراعتها واستصلاح الأراضي الجدباء، ونهى النبي (صلّى الله عليه وسلّم) عن قطع الأشجار المثمرة.

وردت عدّة أدلةٍ من القرآن الكريم والسنة النبوية تحثّ على المحافظة على البيئة، وفيما يأتي ذكر البعض منها:

- **البيئة في القران الكريم**

يشير القرآن الكريم في مواضع عدة إلى البيئة، ويحتوي أيضا على بعض المبادئ الهامة في الحفاظ عليها. أما المبدأ الأول الذي يعكس التوجه الإسلامي في موضوع الاستدامة البيئية فهو مفهوم الوصاية، فيتوجب على الشخص الذي يملك منصب الخليفة أو الوصي اتخاذ جميع الخطوات اللازمة لضمان نقل الملكية إلى الجيل التالي في أكثر صورة نقية ممكنة. ووفقا للإسلام، إن كل شخص هو حارس للطبيعة، ويجب عليه أن يعيش بانسجام مع المخلوقات الأخرى فيها. ومن واجب جميع المسلمين احترام البيئة والحفاظ عليها.

إن الفساد بجميع أنواعه، بما في ذلك الفساد البيئي، الذي يشمل التلوث الصناعي، الضرر البيئي، الاستغلال الطائش وسوء إدارة الموارد الطبيعية مكروه عند الله سبحانه وتعالى.

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

((**وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**)).

((**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**)).

((**وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**)).

((**يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**)).

وفقا للقرآن الكريم، إن الحفاظ على البيئة واجب ديني والتزام اجتماعي، وهو ليس مسألة اختيارية. ويرتبط استغلال مورد طبيعي معين مباشرة بالمساءلة عنه والالتزام بالحفاظ عليه والتأكد من ديمومته أيضا.

البيئة في السنة النبوية

يتعامل الحديث النبوي الشريف أيضا على نطاق واسع مع مختلف الجوانب البيئية، بما في ذلك الحفاظ على الموارد، استصلاح الأراضي، والنظافة البيئية. كان الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) يذم الإسراف والترف، ويشجع على الاعتدال في جميع مناحي الحياة. ويعتبر أكثر الأحاديث النبوية شهرة في مجال البيئة يذلك الذي يقول: ((**إن الدنيا حلوة خَضِرة، وإن الله مستخلفكم فيها**))، وهو يؤكد من جديد على تعاليم القرآن التي جاء فيها أن البشرية قد أعطيت مسؤولية الوصاية على البيئة الطبيعية.

نهى رسول الله محمد – صلى الله عليه وسلم – بوضوح عن تدمير الأشجار والمحاصيل الزراعية حتى خلال أوقات الحرب، ما دام وجودها لا يزال مفيدا للعدو.

ومنح أهمية كبيرة للزراعة المستدامة للأرض، والمعاملة الإنسانية للحيوانات، والحفاظ على الموارد الطبيعية، وحماية الحياة البرية. ومن بعض أقوال النبي (صلى الله عليه وسلم) في الحث على الاستدامة البيئية:

١. ***((إنَّ الدُّنيا حلوةٌ خَضِرة، وإنَّ الله مُستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملُون.))***.
٢. **((مَا مِن مُسلم يَغرِسُ غَرْسًا أو يَزرَعُ زَرْعًا فيأكُلُ مِنه طَيرٌ أو إنسَانٌ أو بهيْمَةٌ إلا كان لهُ بهِ صَدقَةٌ.))**.
٣. **((من نصب شجرة فصبر على حِفْظها والقيام عليها حتى تُثمر كان له في كل شيء يُصاب من ثمرها صدقة عند الله.))**.

أدرك الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنه لا ينبغي استغلال الموارد الطبيعية بشكل مفرط ولا ينبغي إساءة معاملتها. ومن أجل حماية الأراضي والغابات والحياة البرية، أنشأ مناطق لا يمكن انتهاكها، تعرف باسم "الحرام" أو "الحمى"، حيث تترك الموارد فيها دون أي مساس. تم وضع مناطق الحرام حول الآبار ومصادر المياه لحماية المياه الجوفية من فرط ضخ المياه منها. أما الحمى فقد طبقت على الحياة البرية والغابات، وحددت مساحة من الأراضي حيث كان الرعي وتقطيع الأخشاب فيها مقيدا، أو كانت بعض أنواع الحيوانات (مثل الجمال) محمية.

قام رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) بإنشاء حمى في جنوب المدينة المنورة وحظر الصيد داخل دائرة نصف قطرها أربعة أميال، ومنع تدمير الأشجار أو النباتات داخل دائرة نصف قطرها اثنا عشر ميلا. ويظهر إنشاء المناطق المحرمة الأهمية التي وضعها (صلى الله عليه وسلم) للاستخدام المستدام للموارد الطبيعية وحماية الحياة البرية والأراضي الزراعية.

الفصل السادس

نظام الغذائي في الاسلام

فإن الإسلامَ منهجُ حياة متكامل لجميع شؤون الإنسان: الاجتماعية، والأخلاقية، والاقتصادية، والسياسية، والعلمية، والفكرية، وغيرها.

والإنسان جسدٌ وروحٌ، لكل واحد منهما غذاؤه الذي يحافظ به على حياته، ونموّه، وبقائه، وقد أسهب العلماء قديمًا وحديثًا في الكلام عن أغذية الرُّوح، وعُنُوا عنايةً فائقةً في الكلام على ما يصيب الأرواح والقلوب من أسقام، وآفات تُكَدِّر صَفْوَ حياة الإنسان؛ فتصير حياته جحيمًا دنيويًّا، قبل أن يذوق جحيم الآخرة، وجعلوا العمدة في ذلك قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا**﴾.

إلا أن القليل من علمائنا القدماء (رحمهم الله) مَن تناول جانبَ العناية بالجسد، وما يفيده وما يضره من الأغذية والأطعمة، وكيفية الأكل، وأوقاته، وكميته... إلخ. وقد أحببت بيان ما لتنظيم الغذائي من أهمية وما عناية الإسلام بها بتنظيمها، لأنها لصقها بحياته اليومية، وأكثرها مواجهة له في جميع حالاته، في ست قواعد مهمة للعناية بالصحة في نظام الطعام في الاسلام:

القاعدة الأولى: تجنُّب الإسراف في الطعام.

القاعدة الثانية: الأكل على قدْر حاجة الجسم من الطعام.

القاعد الثالثة: الحميَّة أصلٌ من أصول صحة الجسم.

القاعدة الرابعة: تنظيم أوقاتِ الطعام.

القاعدة الخامسة: هيئة جلوس الأكل والشرب.

القاعدة الأولى: تجنُّب الإسراف في الطعام:

واساس هذه القاعدة قال تعالى: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾، قال أهل العلم بتفسير كتاب الله في تفسير هذه الآية الكريمة: عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: "أحل الله الأكلَ، والشربَ، ما لم يكن سرفًا، أو مخيلة، قال أبو الليث السمرقندي في معنى الإسراف: "هو أن يأكل مما يحل له أكله فوق القصد، ومقدارِ الحاجة"، وهو كذلك في اللغة: مجاوزة الحد والقصد، وقال الإمام الماوردي في تفسير الآية: "لا تسرفوا في أكل ما زاد على الشبع؛ فإنه مُضِرٌّ؛ وقد حكا الزمخشري والكرماني في عجائبه، أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق، فقال لعلي بن الحسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان: علم الأبدان، وعلم الأديان. فقال له: قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه. قال: وما هي؟ قال: قوله تعالى: **((وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا))**، فقال النصراني: ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب! فقال: قد جمع رسولنا (صلّى الله عليه وسلّم) الطب في ألفاظ يسيرة. قال: وما هي؟ قال قوله: **((المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء، وأعط كل بدن ما عودته))**. فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيّكم لجالينوس طبّا.

القاعدة الثانية: الأكل على قدر حاجة الجسم من الطعام:

أساسُ هذه القاعدة هو قول النبي (صلَّى الله عليه وسلَّم): **(ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن. حسب الآدمي لقيمات يقمن صلبه. فإن غلبت الآدمي نفسه فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس)**، هذا الحديث أصلٌ من أصولِ الطب النبوي الشريف، فقد شبّه عليه الصلاة والسلام معدة الإنسان بالوعاء، وكان هذا التشبيه دقيقاً من الناحية الفكرية التحليلية، كون المعدة هي المكان الذي يتوجب على الطعام، وكل ما هو مأخوذ عن طريق الفم المكث والتجمع فيه، قبل امتصاصه من قبل جدار المعدة إلى الدم، ومن ثم توزيعه في أنحاء الجسم.

قال ابن القيم في "الطب النبوي" في تعليقه على حديث القاعدة: ومراتبُ الغذاء ثلاثةٌ أحدها: مرتبة الحاجة، والثانية: مرتبة الكفاية، والثالثة: مرتبة الفضلة، فأخبر النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-أنه يكفيه لقيمات يقمن صلبه، فلا تسقط قوتُه، ولا تضعف معها، فإن تجاوزها فيأكل في ثلث بطنه، ويدع الثلث الآخر للماء، والثالث للنفس، وهذا من أنفع ما للبدن والقلب.

القاعدة الثالثة: الحميَّة أصلٌ من أمن أصول صحة جسم الإنسان:

يقصد بالحمية: احتماء الإنسان من الطعام، سواءٌ كان مريضًا أم سليمًا، وإن كانت تُطلَق في حق المريض أكثر، والمعلوم أنَّ للطعام شهوةً ولذةً ينجذبُ بسببها الشَّرِه من الناس، والذي لا يَضبِط نفسَه عند رؤية الطعام اللذيذ، ذي النكهة العطرة، والإعداد الأنيق، والمنظر البديع.

وقد ورد عن النبي (صلَّى الله عليه وسلَّم) أنه دخل ومعه علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) بيتًا فيه دوالٍ معلَّقة، فجعل رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) يأكل، وعليٌّ معه يأكل، فقال رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) لعلي: ((**مه مه، يا علي؛ فإنك ناقِهٌ**)) فجلس عليٌّ (رضي الله عنه)، والنبي (صلَّى الله عليه وسلَّم) يأكل، فجيء لهم بسلق وشعير، فقال النبي (صلَّى الله عليه وسلَّم): ((**يا علي، مِن هذا فَأَصِبْ؛ فإنه أوفق لك**))، في هذا الحديث الأمرُ بالحمية وأن الناقِهَ ينبغي له أن يحتفظ على نفسه، والناقه هو الذي خلص من المرض، وهو متحرك إلى الصحة الوثيقة، والناقِهُ ضعيفُ الهضم، وكذلك يمكن الاستدلال بالحديث السابقة في القاعدة الثانية.

القاعدة الرابعة: تنظيم أوقات الطعام:

لقد وضع الإسلام قواعد صحية عديدة تحافظ على صحة الانسان ومنها تحديد أوقات الطعام، يرسم لنا الإسلام الطريق المعتدل الذي يحفظ للمرء سلامته وصحته، ويحميه من أمراض الطعام والتُّخْمة، حيث حث الإسلام على الأكل بعد أوقات الصلاة مباشرة، **قوله تعالى: {يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين}**، حيث يقول خبراء التغذية، تشير الأبحاث التي أجريت على الحيوانات ان تنظيم الطعام في أوقات محددة (كما إشارة الآية)، يؤدي الى ارتفاع الناقل العصبي والذي يمنع التعب، ويزيد النشاط ويمنع اضطرابات النوم.

القاعدة الخامسة: هيئة جلوس الأكل والشرب.

هيئة الجلوس للطعام مما يساعد، أو يعيق في هضْم الطعام وأكله، وهو أدبٌ من الآداب الإسلامية التي راعاها الإسلام، ونبَّه عليها صفوةُ الخلق رسولُنا محمد (عليه الصلاة والسلام)، فقد جاء عن رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) في هيئة الجلوس للأكل. صَحَّ عنه (صلَّى الله عليه وسلَّم) أنه قال: ((لا آكل متكئًا))، وروي عنه (عليه الصلاة والسلام) أنه: ((نهى أن يأكل الرجل وهو منبطحٌ على وجهة)).

وهناك عدة قواعد اخرى سأذكرها باختصار:

١. يستحب للإنسان غسل اليد قبل الطعام وبعده؛ لقوله عليه السلام: ((**الوضوء قبل الطعام وبعد الطعام بركة الطعام**)).
٢. ان يأكل بيمينه، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: ((**إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله**)) مسلم.
٣. ولا يأكل طعاما حتى يعرف أحارا هو أم باردا؟ فإنه إن كان حارا فقد يتأذى. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((**أبردوا بالطعام، فإن الطعام الحار غير ذي بركة**)).
٤. ولا يشمه فإن ذلك من عمل البهائم، بل إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه، **أن النبي (صلى الله عليه وسلم) ((نهى أن يتنفس في الإناء))**.
٥. ويصغر اللقمة ويكثر مضغها لئلا يعد شرها.
٦. ويسمي الله تعالى في أوله ويحمده في آخره. **قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ((إذا أكل أحدكم طعاما فليقل بسم الله فإن نسى فى أوله فليقل بسم الله في أوله وآخره))**.

الفصل السابع

التنظيم الإداري في الاسلام

يُعدّ التنظيم الإداري من الوظائف الأساسية لأية إدارة في أية مؤسسة أو حركة[٥] إذ يهتم التنظيم الإداري بتقديم الوسائل التي تضبط عمل الفرد سواء بصفة فردية أم جماعية والتي من خلالها يستطيع توفير الجهد والإكثار من فعاليته.

تعريف التنظيم الإداري:

يُعدّ التنظيم أداة من أدوات الإدارة التي تُستخدم من أجل ضمان تحقيق الأهداف، والحقيقة أن التنظيم يُعدّ جزءاً من العملية الإدارية، وقد تعددت التعاريف للتنظيم الإداري بتعدد الباحثين والكاتبين في هذا المجال، حيث عرّفه بعضهم إنه \"تحديد للنشاطات الضرورية. يمكن القول بأن تحديد معنى التنظيم يفترض تحقيقاً لأمرين رئيسين هما:

أ- عناصر التنظيم (أي العناصر التي يقوم على أساس وجودها وجود التنظيم).
ب- أبعاد التنظيم (أي الصور التي يمكن أن يتخذها التنظيم ويتحدد وجوده وحركته بها).

التنظيم أساس المنهج الإسلامي:

إن النظام العبادي من صلاةٍ وصومٍ وزكاةٍ وحجٍّ قائمٌ في كل جزئياته وتفصيلاته على أصول قاعدةٍ تنظيميةٍ صارمة. وكذلك النظام الاجتماعي. ففي نطاق دعوة المسلمين إلى أن تكون لهم قيادة يحتكمون إليها، وينزلون عند حكمها يقول الله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمرِ مِنكُم فَإِن تَنَازَعتُم فِي شَيءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُم تُؤمِنُونَ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيرٌ وَأَحسَنُ تَأوِيلاً))، وبدهي أن القيادة والطاعة شئونٌ تنظيميةٌ صميمة. ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَرصُوصٌ)). البنيان المرصوص يكون نتيجة التنظيم والانضباط وليس العكس إطلاقاً.

وهكذا تتكاثر الآيات وتتناثر في كل جانب من جوانب التوجيه والتشريع القرآنيين مؤكدة أهمية التنظيم ومكانته في كتاب الله.

التنظيم أساسُ عملِ الرسول (صلى الله عليه وسلم):

قال رسول الله (عليه الصلاة والسلام): ((اسمعوا وأطيعوا وإن استُعمِل عليكم عبدٌ حبشيٌّ))، ويقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): ((إذا كنتم ثلاثة فأَمِّروا أحدكم)). إن خير ما يتمثل حيز التنظيم في سلوك النبي (عليه الصلاة والسلام) ما قام به حين هجرته إلى المدينة وذلك بما يلي:

١. طلبه إلى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) المبيت في سريره لتضليل المشركين ريثما يكون هو قد غادر مكة وبلغ غار ثور.
٢. اختياره غار ثور الذي يقع في اتجاهٍ معاكسٍ لطريق المدينة.
٣. تكليفه عبد الله بن أبي بكر بنقل ما يجري في مكة من أخبار ليكون على اطلاعٍ على ما يجري حوله.
٤. تكليفه أسماء بنت أبي بكر بتأمين ما يلزمهم من طعامٍ وشراب.
٥. تكليفه عامر بن فهيرة أن يمر بغنمه مساء عليهما ليأخذا حظهما من اللبن، ولتطمس الأغنام بحوافرها آثار الأقدام التي تتردد على الغار.

أهداف التنظيم الإداري:

إن الهدف الأساسي من التنظيم، ينبثق من العمل الجماعي الهادف حيث تُوزّع الأعباء، وتُقسّم الأعمال من أجل تحقيق الأهداف بين الفرد ومجموعات العمل في إطار نظامي يعتمد على الانسجام والملاءمة والترابط في النشاطات والأهداف. لذلك فإن التنظيم يهدف إلى:

١. تحقيق الاستخدام الأمثل للموارد المادية والمعنوية.
٢. إيجاد التعاون والانسجام والتكامل والترابط بين مختلف مكونات المنظمة من أفراد وجماعات.
٣. الاستفادة من المعلومات والخبرات المتراكمة العلمية والعملية والفنية مثل جمع المعلومات والإحصاءات. عَن حُذَيفَةَ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) ((قَالَ أَحصُوا لِي كَم يَلفِظُ الإِسلَامَ قَالَ فَقُلنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَخَافُ عَلَينَا وَنَحنُ مَا بَينَ السِّتِّ مِائَةٍ إِلَى السَّبعِ مِائَةٍ؟ قَالَ إِنَّكُم لَا تَدرُونَ لَعَلَّكُم أَن تُبتَلَوا قَالَ فَابتُلِينَا حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ مِنَّا لَا يُصَلِّي إِلَّا سِرًّا)).

٥. تحديد المسؤولية وتطبيق مبدأ المساءلة القانونية عن الأعمال والتصرفات وبالتالي تحديد إجراءات الحفز من ثواب أو عقاب.